مصرع كليوپاترا

تأليف

احمد شوقي بك

مصرع كليوباترا

تأليف

المرحوم أحمد شوقي بك

مطبعة دار الكتب المصرية

١٩٤٦

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الاسكندرية

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

إهـــداء

إلى صاحب السمو الملكى الأمير "فاروق"
ولىّ عهد المملكة المصرية (*)

فاروقُ يا أزكى نبات الوادى
ولمحةَ الآباء والأجداد
ويامناط العهد من «فؤاد»
الى اليد المأمولة الأيادى
أرفع ما قد وَسِع اجتهادى
وَردَ الرُّبا وزَنْبقَ الوِهاد
حوادث قديمة الميلاد
فضْنَ عن الملوك والقُوّاد
وصِرنَ وحىَ شاعر وشادى
وفتنةَ اليَراع واليداد
يَعطفَن كلَّ طيّب الفؤاد
تَهُزُّه بفيعة الأمجاد

(*) أهديت إلى جلالته قبل ارتقاء جلالته عرش المملكة المصرية .

وروعة المَقـادر العـوادى
وما خَلَوْن من شعاع هادى
يُبـيِّنُ الغَىَّ من الرشـاد
ومن قصيدٍ مِلْء كل نادى
عَفَّ البيـوت نَزِهِ الأوتاد
تُسـيغه مسامـعُ الـزُّهّـاد
وقَصص مُستَحدَث فى الضادِ
يُـؤلِّفُ التمثيـل بالإنشـاد
فى وطنٍ على الفنون غادى
مَسرَحُه كان بلا عمـاد
والـدُّك المُعـانُ بالسَّـداد
أقام رُكنيْه فكان البـادئ
فإن تقبّلتَ وذا اعتقادى
جَزَيتَ إخلاصى واحتشادى
بجيـلك النـاهض بالبـلاد

شوقى

تمهيـــد

١ ــ زمن الرواية : الأيام الأخيرة فى حيـاة كليوباترا حـوالى سنة ٣٠ قبل الميلاد بين وقعة « أكتيوم » البحرية وانتحار كليوباترا .

٢ ــ مكانها : فى الاسكندرية وأرباضها .

٣ ــ أشخاصـــها :

(ا) الأشخاص التاريخية :

كليوباترا .

مارك أنطونيوس .

أكتافيوس قيصر .

قيصرون : ابن كليوباترا من يوليوس قيصر .

(ب) الأشخاص الموضوعة :

أنوبيس : الكاهن الأكبر .

زينـون : أمين مكتبة قصر كليوباترا .

حابى ... ديون ... ليسياس } مساعدو زينون .

هيـــلانة : وصيفة كليو باترا وبينها وبين حابى غرام

شرميون : وصيفة أخرى .

أوروس : رومانى فى معية أنطونيوس وهو عبده وتابعه وصفيه .

أولمبوس : طبيب رومانى فى بلاط كليو باترا .

أنشـــو : مضحك الملكة .

غانمـــيد : ســاقيهـا .

حـــبرا : عرافهـا .

أيـاس : شـاديهـا .

أحيـــل : قائد الأسطول المصرى وربان أنطونياد سفينة كليو باترا .

بـــولا : شاعر .

أغا القصر

(ج) النكات المسرحيـة : جنود وقـوّاد مصريون ورومانيون . راقصات . عزاف .

الفصـــل الأوّل

المنظـــر الأوّل

«فى مكتبة قصر كليوباترا — حابى وديون وايسياس جلوس الى»
«عملهم . يسمع جماعة من العامة خارج القصر ينشدون هذا النشيد»

يومُنـا فى أكْتِيُـوما ذكرُه فى الأرض سارْ
إسألوا أسطولَ روما هل أذقنـاه الدّمار!

***

أحرز الأسطولُ نصرا هزّ أعطافَ الدّيار
شرفًا أسطولَ مصرا حُرّتَ غاياتِ الفَخار

***

صارتِ الإسكندريهْ هى فى البحر المَنـار
ولهـا تاج البريـهْ ولهـا عرش البحار

***

حابى : إسمع الشعبَ (دُيونُ) كيف يُوحون إليه
مـلأ الجـوَّ هُتـافًا بحيـاتىْ قاتليـــه
أثر البهتانُ فيـه وانطلى الزور عليـه
يا له من بَبَّغـاء عقـــله فى أذنيـه

ديون :

حابى، سمعتُ كما سمعتَ وراعنى أن الرَّمِيَّة تحتـفى بالرامى

هتفوا بمن شرب الطلا فى تاجهم ... وأصار عرشهم فراش غرام
ومشى على تاريخهم مستهزئًا ... ولو استطاع مشى على الأهرام

حابى :

أتذكر يا ديون إذ انطلقنا ... إلى الميناء نلتمس الهواء
وكان البحر كالميت المسجى ... وكان الليل للميت الرداء

ديون :

نعم وهناك آنسنا سحابا ... وراء الليل جللت السماء
فقلت آنظر ديون ترا الحوارى ... يطأن الماء همسًا والفضاء
وأقبلت البوارج بعد حين ... سوائب لا دليل ولا حداء
رجعن رجوع قرصان أصابوا ... من الغزو الهزيمة والبلاء
فلم نسمع لملاح هتافًا ... يبشر بالقدوم ولا نداء
ولم نر فوق سارية سراجا ... ولا من ثقب نافذة ضياء

حابى : فماذا قلت ؟

ديون :

قلت ديون إنى ... أرى الأسطول بالويلات جاء
دخول الظافرين يكون صبحًا ... ولا تزجى مواكبهم مساء
فلما أصبح الصبح انتبهنا ... نرى الأسطول أزين ما نراءى
تبرجت البوارج بعد عطل ... وهزت فى ذوائبها اللواء

To: www.al-mostafa.com

وردّدَ فى المدينــة أن روما عفا أسطولُها ومضى هَبـاء
فضجّ الناسُ بالبُشْرَى وكدّوا حناجرَهم هُتافاً أو دُعاء
هداك اللهُ من شَعب برىء يُصرّفه المُضَلّلُ كيف شاء

[تدخل هيلانة]

ليسياس [هامسا لحابى] :

حابى : صهٍ قد ظهرتْ هيلانهْ وأقبلت بالطلعــة الفتّانهْ
تَنفَحُ كالزّنبقة الغَيْسانهْ

حابى : ليسياسُ، أنهاك عن المَجانهْ هيلانةُ فى القصر قَهْرمانهْ
لهـا وقارٌ ولهـا مكانهْ

هيلانة : ســلامٌ لك يــا حابى سـلامٌ لك هيــلانهْ

هيلانة : أُمِرْتُ أن أقول للأمين ستحضُر الملْكةُ بعد حينِ
فبلِّغ الأمرَ الى زينون

حابى : ســيدتى ســأفعــلُ أمرُكما ممتثــلُ

هيلانة : تَقــرِنى بِرِبّــتى ! ذلك ما لا أقْبَــل

حابى : هيــلان ، أنتِ مَلْكتى وأنتِ وحــدَك المَــلَكْ

هيلانة : بــل كيلبــترا وحــدَها لم يَحْــوِ شمسيْنِ الفَــلَك

إن أنت لــم تُؤمِــنْ بهـا فلسْتَ لى ولستُ لك

[تخرج هيلانة و يدخل زينون من باب آخر فى هيئة تفكير واضطراب]

حابى : ذاتُ الجـــلالة ســيدى قـــد آذنَتْنا بالـزيـارهْ
زينون : هــذه حجرتُهـا لا عدِمَتْ طِيبَ رياّها ولاضَوء حُلاها
كلَّ يوم تتجـــلى ســاعةً هاهنا كالشمس فى عز ضحاها
تدخُلُ الدارَ فتنسى مُلكها بلقاء الكُتُب أو تنسى هواها

[محدثا نفسه فى ركن قصى من أركان المكتبة] :

أما الشـبابُ فقـد بَعُـد ذهب الشـباب فـلم يَعُـدْ
ويحى أمِن بعد السنيـ ـنَ وقـد مررن بلا عـدد
أو بعـد طـولِ تجـاربى ومكانِ علمى فى البـلد
تَجْنى الحسانُ علىّ ما لم تجْنِ قبلُ علـى أحد؟

ديون [هامسا إلى رميله] :

حاب ، ليسـياس ، أُقسمُ أن زينـونَ مغـرَمُ
فضـح الشـيخَ حبُّـه والهـوى ليس يُكتَمُ
ليسياس : بِمَـنِ الشـيخُ مولَـعٌ ليـت شـعرى متـيّم؟
ديون : وبمن جُـنَّ يا تُـرى ؟
حابى [ضاحكا] : كلُّ خاف سـيُعلم
زينون [مستمرا فى حديث نفسه] :

مالى جنحتُ فصرتُ أ تَّـ ـهم الشبابَ وأضطهدْ
لم ألـقَ رأسًـا فاحمًـا إلّا حملتُ له الحسـد
ووجدتُ لاعجَ غـيْرةٍ بين الجوانح يتّقـد
فكأن ظلمـةَ شَـعره فى مُقلتىّ هى الزمـد
وكأنمـا سـرقت ذوا ئبُـهُ شـبابى المفتقَـد
ولـو آن لى ولداً فـا ت لمـا بكيتُ على الولد
حذَرًا وخـوفا أن يكو نَ بهـا تعـلّق أو وجَد
شـكٌّ يعـذّب مهجتى إن المشكّكَ فى كَـبَد

[يلتفت إلى حابى و يطيل إليه النظر ثم يناديه] :

حابى، بـنى

[يأتى اليه حابى]

قل ولا تُخْفِ علىّ هـل تُحبْ؟

حابى : أُحبُّ ! من قال ؟

زينون : سمعتُ

حابى : من روى لك الكذب؟

زينون : بُـنىّ، ليسَ بالفـتَى إذا أحبَّ من عَجب
مَن لم يُحبَّ لم يُؤ دَّ للشـباب ما وجب

حابى [متهكما] :

لكن أأدّعى الهـــوى وليس لى منـــهُ سببْ؟

زينون : حابى ، بُنىّ لا تَسرُعْ مِنَ السـؤال بل أَجِب

لولا الهـــوى لم تَكُ فى ظـل الشـباب تكتئب

ما بال بِشْـــرِك امّحَـــى ولـونك الغضّ شُحِب؟

وللدمـــوغ من مآ قِيـــك تكادُ تنسكب؟

حابى [ساخرا] :

افقْ زينونُ واصحُ من الغوانى أبعد الشيب تخدعُك النساء؟

زينون [غاضبا] :

أتعـلم يا غلامُ علىّ عشقًا ؟

حابى : دع الإنكار قد برح الخفاء

زينون : ومن أنباك ؟

حابى : أنت !

زينون : وكيف ؟

حابى : تَهْـــذِى فتفضحك الوساوسُ والهُدَاء

كمحموم يبوح وليس يَدرى تكشّفَ عن سرائره الغطاء

أبعد العطف والإشفاق يشقى بصحبتك الشبابُ الأبرياء؟
فكلّ فتى رأيتَ زعمت صباً يُخامرُه من الرَّقطاء داء؟
وما كعمّى الشيوخ إذا أحبُّوا وليس وراء غَيْرتهم بلاء

زينون [لنفسه] :

إلهى قدفُضِحتُ وضَلَّ شيبى وضاعت حكمتى وخبا الذكاء

[لحابى] :

صدقتَ بُنىّ بى داءٌ دخيلٌ وليس إلى الدواء لِىَ اهتداء
علىّ تلوّت الأفعى، فهلْ لى من الأفعى ونَكْرتها نَجَاء؟
أرى ولهَا وأحسبُهُ جنوناً كسانيهِ على الكِبَرِ القضاء

حابى : وتُعطَى حين تَلقاها ابتساماً وأنطنيوسُ يُعْطَى ما يشاء
صباحُهما مُغازلةٌ وصيدٌ وللأقداح والقُبَل المساء
أتَرْضَى ان يكون سريرُ مصرٍ قوائمُهُ الدعارةُ والبِغَاء؟
أتهدِمُ أمةً لتَشيدَ فرداً على أنقاضها ؟ بئس البِناء!

أبى، شيخى، اجترأتُ عليكَ فاصفحْ
فلم أكُ أجترى لولا الوفاء

إلهى قد فضحت وضل شيبي وضاعت حكمتى وخبا الذكاء

(صفحة ١٣)

لقد آن التكاشفُ والتواصي ... بما توحي الكرامةُ والإباء
تعالَ إلى جماعتنا، فإنَّا ... جنود الحق يجمعنا لواء
شبابَ نحن يعوزُنا شيوخ ... بهم في المدلهمَّةِ يُستضاء
زيون : كفى، إني نفضتُ يدي منها ... ومُزِّقَ عن بصيرتيَ الغشاء
حاب : أبى زينونُ قد بُحتُ ... من السر بمكنونى
وما غيرُك زينونُ ... على السر بمأمون

[يشير إلى ديون وليسياس] :

أنى، هذا أثيني ... وخِلِّي ذاك مقدوني
كلا الخلَّين للحق ... كما أدعوه يدعوني
كلا الخلَّين ذو جدٍّ ... بأرض النيل مدفون
فليسا في هوى مصرٍ ... وفي طاعتها دوني
فديتا الوطنَ الغالـ ... ـيَ بالجنس وبالدين
ولم نصبر على حكم ... لروميَّةَ ملعون
ولسنا حزبَ أكتافٍ ... ولسنا حزب أنطون
ولا نَخْضَعُ للبأس ... ولا نُخْدع باللين
ولم يبقَ على الودِّ ... لروما غيرُ زينون

زينون : معاذ الله ، عُدْتُونى من العصبة عُدْتُونى
كساك اللهُ يا روما لباسَ الذلّ والهُون
حابى : أبى ، أنت الطبيبُ وكلُّ داء له فى صَيْدليّتك الدواء
فَهىِّ لها ابنَ ساعته وعجّلْ يُعَجَّلْ فى السماء لك الجزاء
لعل سمومَك الزُّعْفَ المواضى من الأفعى وفتنتها شفاء

[يدخل جندى من حرس الملكة معلنا قدومها]

الحارس : الملكة !

زينون [كأنما يفيق من حلم] :

الملكهْ ! لَا بَرِحَتْ مُلَّكهْ !
ودام مجدُ الملكهْ !

[تدخل كليوباترا ومن ورائها ابنها قيصرون بين وصيفتيها شرميون وهيلانة ومن ورائهن أشوم مضحك الملكة وأعا القصر]

الملكة : تحيَّتى لأُمناء المكتبه وشيخهم أعلى الشيوخ مرتبه
زينون : سلام السَّموات فى مجدها على رَبَّة التاج ذات الجلالْ
تمنيتُ رأسين لا واحداً إذا مَسَّت الأرضَ هامُ الرجالْ
أُطَاطئُ رأسًا لمجد النبوغ وأخْفضُ رأسًا لمجد الجمال

حابى ، ديون ، لسياس [يتلفت بعضهم إلى بعض أسفا] :

أنشسو [للوصيفتين وقيصرون] :

أما يُغنيه عن رأسيـ ـن رأسٌ فيـه وجهان؟
فحينًـا هـو مصرىٌ وحينًـا هـو يُونَانى
وفى مجلسِ يوليوسَ وأنطونيوس رُومانى
وإن لاقى أغا القصر فنـوبىٌّ وسـودانى

[يدخل الكاهن أنوبيس من باب مقابل]

الملكة : كاهنَ المُلْكِ سـلامٌ لا عَدِمنـا بركـاتِكْ
صلِّ من أجلى ولا تنـ ـس صغارى فى صلاتك

أنوبيس : رَبَّةَ النيـل التَّحيـا تُ الزَّكيَّاتُ لذاتِك
حَرَسَتْ تاجَكِ إيزيـ ـسُ ومَدَّتْ فى حياتك

الملكة : هُوَ ذا ابنى قيصرونُ يَتـلـوّ نفـحاتِـك

الكاهن [لنفسه] :

إيزيسُ كيف أُصَلى على ابن يوليوسَ قيصرْ؟
أبوه عالٍ ولكنْ فرعـونُ أعلى وأكبر

[يسمع هتاف من خارج القصر وجماعة ترتل نشيد النصر السالف فى أكتيوم]

الملكة [عابسة] :

كاهنَ المُلْكِ ، سادتى ، هل سمعتمْ رَنَّةَ الصوتِ فى جوانب قصرى ؟

أنوبيس : هم رعايا مليكتى
الملكة : ليت شعرى
أنخير تجمّعوا أم لشرّ؟
شرميون :
الجماهيرُ يا مليكةُ بالشّـ ـطّ يموجون فى حُبورٍ وبِشْرِ
سَرّهم ما لقيتِ فى أكتيومٍ من ظهورٍ على العدوّ ونصر
لا يقولون أو يُعيدون إلّا نبأ بات فى المدينة يسرى
الملكة :
يا لإفْك الرجالِ! ماذا أذاعوا كذبٌ ما رَوَوْا صُراحٌ لَعمرى
أىّ نصر لقيتُ حتى أقاموا ألْسُنَ الناس فى مديحى وشكرى؟
ظَفر فى فم الأمانّى حلوٌ ليت منه لنا فُلامةَ ظُفْر
وغدًا يعلمُ الحقيقة قومى ليس شىءٌ على الشعوب بِسِر
شرميون :
ربّةَ التاج ذلك الصُّنع صُنعى أنا وحدى وذلك المكرُ مكرى
كثرتْ أمس فى الإياب الأقاويـ لُ وظَنّ الظنونَ من ليس يَدرى
فاذعتُ الذى أذعتُ عن النصـ ـر وأسمعتُ كلّ كوخ وقصر
خِفتُ فى خاطرى عليك الجماهيـ ـرَ وأشفقتُ من عِدًى لك كُثْر
فاغفرى جُرْأتى، فيارُبَّ ذنبٍ يَتعب العذرُ فيه مهّدتِ عذرى

الملكة :

شرميونُ ، آهدَئى فما أنت إلا ... مَلَكٌ صِيغ من حنانٍ وبِرّ
أنيتِ لى خادمٌ ولكن كأنا ... فى المُلِمّاتِ أهلُ قربى وصهر
إنما الخادمُ الوفىُّ من الأهـ ... ـل وأدنى فى حال عسرٍ ويسر
إسمعى الآن كيف كان بلائى ... وانظرى كيف فى الشدائد صبرى
أيها السادةُ اسمعوا خبرَ الحر ... ب وأمرَ القتال فيها وأمرى
واقتحامى العُبابَ والبحرُ يطغى ... والجَوارى به على الدَّمِ تجرى
بين أنطونيو وأكتافَ يومٌ ... عبقرىٌّ يسيرُ فى كل عصر
أخذتْ فيه كلُّ ذاتِ شِراعٍ ... أُهْبةَ الحرب واستعدتْ لشرّ
لا ترى فى المجال غيرَ سبوحٍ ... مُقبلٍ مدبرٍ مكرٍّ مفرّ
وترى الفُلكَ فى مُطاردة الفُلـ ... ـكِ كنسرٍ أراد شراً بنسر
وتخال الدُّخانَ فى جَنَباتِ الـ ... ـجوِّ جُنحاً من ظلمة الليل يسرى
ودَوِىَّ الرياح فى كل لُجّ ... هزجَ الرَّعْدِ أو صياحَ الهزبر
وترى الماء ، منه عودُ سرير ... لغريقٍ ، ومنهُ أحْناءُ قبر
يغسِلُ الجُرحَ شرَّ مَن غسَل الجر ... حَ ويأسو من الحياة ويُبرى
كنت فى مركبى وبين جنودى ... أزِنُ الحربَ والأمور بفكرى
قلت روما تصدّعت فترا شَطـ ... ـراً من القوم فى عداوة شطر

بَطَلاها تقاسَما الفُلكَ والجيـ ... ـشَ وشبّا الوغى بحر وبر
وإذا فرّقَ الرُّعاةَ اختلافٌ ... علّموا هاربَ الذئاب التّجَرّى
فتأملتُ حالتيّ مَليّا ... وتدبرت أمرَ صَحوى وسكرى
وتبيّنتُ أن روما إذا زا ... لت عن البحر لم يَسُد فيه غيرى
كنت فى عاصف، سلاتُ شراعى ... منه فانسلّت البوارجُ إثرِى
خلَصت من رَحى القتال ومما ... يلحق السُّفْن من دمار وأسْر
فنسيتُ الهوى ونُصرة أنطو ... نيوسَ حتى غدرتُه شرّ غدر
علمَ الله قد خذلتُ حبيبى ... وأبا صبيتى وعَونى وذُخرى
والذى ضيّع العروشَ وضحّى ... فى سبيلى بألف قُطْر وقطر
موقفٌ يُعجب العلا كنتُ فيه ... بنتَ مصر وكنتُ مَلكةَ مصر

[ملتفتة الى زينون] :

زينونُ، فصّلتُ الخبرْ ... عن القتال والسفرْ
وقلتُ عن إيابى ... وخُطة انسحابى
ما ليس يعلمُ البلدْ ... ولا درى به أحدْ
فهل لديك الآنا ... ما يَجلِبُ السُّلوانا
من الأمالى المُسْلِيهْ ... والصُّحُف المُلْهِيهْ

قيصون : عنـــدى يا مولاتى روائـــعُ الآيات
تِسْعون ألف سِـفْرِ قـد كُتبتْ بالتّبر
من كل رَقّ عجيب فى العلم أو فى الأدب
قيصرُ أنطونيو وهب لنـا مناجمَ الذهبْ
وكلَّ غال مدَّخرْ من الجواهر الأُخَرْ
أسـلابه من حربه وطَعنـهِ وضـرْبه
هديةٌ من قيصر لبَـلدة الإسكندر

أنشو : إذا كانت الكتْبُ فى شرعكم نظيرَ الجواهر كُفْءَ النُّضارْ
فإنى الغنىُّ بدُرّ الفـواقـ ـع حين يُرضعُ تِبر العُقـار
وما الكتْبُ قوتى ولا منزلى فـا أنا سـوسٌ ولا أنا فار

الملكة : حكيمٌ لعمرى على جهله ظريفُ الحديث لطيفُ الحوار

زيون [مغيظا] :
ولكنها حكمةُ السائمات وفلسفةٌ غيرُ بنت اختبار
وكلتاهما لا تَعَدَّى الشعورَ بحُبّ البقاء وخوف الدمار

أنشو : رويدك مولاىَ بعضَ السّباب فليس السّبابُ سبيلَ الكبار

هَبِ الليـلَ طـال فقطّعتـه بِدَرْسٍ وأصبحتَ تُفنِى النهار
وأقبلت بالكتب تطوى الطِّوالَ وتَنشـرُ فى إثرِهنَّ القِصـار
وزِدْتَ على الأرض علمَ السماء كبارَ كواكبهـا والصغار
إذا ما تفقّهتَ ومات الحمَـارُ أبينـك فـرقٌ وبين الحمـار؟

زينون [غاضبا] :

ما ذا تقول السـيده؟

الملكة [ضاحكة] : واحـدةٌ بواحـده

أبى أنُوبيُس، أرجو

أنوبيس : بـل تَأمُرينَ مُطاعـهْ

الملكة [مشيرة إلى باب محراب مفتوح ومتجهه إليه] :

هـذا مُقـامُ صلاتى وهيـكلى للضـراعهْ
ولى خطايا كثيرةٌ لا تَسبرَحُ البالَ ساعه
فادخلْ وصلِّ لأجلى فمنـك تُرجَى الشَّفاعهْ

[يدخلان المحراب ويتبعهم الحاضرون ما عدا حاى وديون وليسياس]

ديون [متهكما] :

إسكندريةُ صرتِ رَفرَفَ معبد من كلِّ ناحيـة عليـه سِتارُ

اختَصَّ آلهـةُ الجـلال بِسرّه ... وتفرَّدَ الكُهّان والأحْبـار
ما خَطْبُهم حابى ، وماذا بيّتوا ... ما هــذه الألغـاز والأسرار؟

ليسياس :

حابى :

أرأيتَ وقعةَ اكتيوم وما جرى ... فيهـا وكيف تصرّفَ المقدار!
ليسياس ، إنك قد سمعت حديثها ... كالسحر فى الآذان حين يُدار
تبدو الخيانةُ فيـه وهى أمانةٌ ... ويُرى الثباتُ عليه وهو فرار
وعلمت كيف نجت وكيف انقض عن ... أنطونيُو أسطولُهـا الغـدّار

ليسياس :

واليوم حابى ، أيْن أنطونيو وما ... فعلت بفَلّ جيوشه الأقـدار؟
قل لى : أحىٌّ فى البلاد مشرّدٌ ... هــو أم له قــبرٌ بمصر يُزار؟

حابى :

ليسياس ، تسألنى تجاهل عارف ... بل جاهـلٍ لم تأتهِ الأخبـار

ليسياس :

حابى :

لم تأت حـتى جاء فى آثارها ... للحبِّ أجنحةٌ بهن يُطار
و يقال بل أخذته تحت شراعها ... ونجـا به فُـلْك لهـا مِحصـار
تجرى الرياحُ بمـا تشاءُ قلوعُه ... ويسـيرُ فى طاعاته التيـار

ويُقالُ غَضبانُ عليها عاتبٌ ... ويُقالُ بل حَنِقُ الفؤادِ مُثار
وعلى صفاء العاشقينِ سحابة ... وعلى سلامِ الصاحبينِ غُبار
آلَى وأقسم لايُرى فى قصرها ... حتى يُقَوِّمَ مجدُه المنْهار
إن البلاء أجلُّ من ألّا يُرَى ... عجبٌ أتخفَى فى الهشيم النار؟

ديون :

حابى :

أنطونيو منا بأقرب تُكنةٍ ... يدعو من الرومان من يختار
ويُعِدُّ أهبتَه ليوم حاسم ... فى البر يُغسلُ عنه فيه العار
و يكون ميدانَ الرحى ومدَارَها ... تلك التلالُ وهذه الأسوار
فهناك خاتمةُ الصِّراع وموقف ... إما الدَّمارُ به وإما الفار

[يسمع صوت أنو بيس من داخل المحراب مرتلا هذا النشيد] :

إيزيسُ ذاتَ الحجابْ ... مالكةَ العالمينْ
شعبُك لاقَى العذاب ... من عَبث الظالمينْ

* * *

يا من خفضنا الجباه ... لعزِّها ساجدينْ
صُغنا إليك الصلاهْ ... من أدمع النادمينْ

[ستار]

المنظـــر الثـــانى

«فى إحدى غرف القصر الملكى ورحى الحرب دائرة بين اكتافيوس وأنطنيوس على أسـوار الإسكندرية — حابى فى الغرفة حيث تدخل عليه هيلانة »

هيلانة : أتدخـلُ حابى مَقاصيرَها؟ بلغتَ من الجُرأةِ المنتهَى
ستعلَمُ أمرَكَ ذاتُ الجلال ـة.

حـابى : بـل أمرتْ أن ترانى هنـا

هيلانة : عجبـت لهـا ولتـدبيرها كذلك قـد أمـرَتنى أنا
إذن هى تجمعنـا يا جَحُـودُ وتَجـزيكَ عن سَخَطٍ بالرضى

حـابى : هـلانةُ خَلِّيكِ من ذكرِها حديثُ الأفاعى طويل المدَى

هيلانة : رُوَيدَكَ حابى لقد أحسنَتْ فمالى أراك أسأتَ الجزَا؟

حـابى : هـلانةُ، يا طيبَهـا خَـلْوَةً وإن قَـلَّ فى ظلّها المُلتقَى
تَعـالَىْ هلانةُ نُعطِ الغـرامَ عِنانَ الحديث ونَشْكُ الجوَى
أبـلى يـدىَّ يدَيْكِ اللّتـيْنِ نعيـمى بينهـما والشـقا
هَلُمِّ هِـلانةُ

هيلانة : حابى أراكَ بِكُنهِ الأمورِ قليـلَ الهُدَى
من القصر لا تلتمِسْ خَلْوَةً وإن هو من كلّ حسّ خلا

سماء القصور لها أذنان وأرض القصور بعين ترى

حابى : هلانةُ لا تقطعى نشوتى بقربك أو حلمى باللقا

أمهما تخيلت صفو الحياة خلقت على جانبيه القذى؟

هيلانة : حنانك حابىّ لا تتهم ولا ترمنى بعقوق الهوى

ولذ بالأناة فإن الأناة صديق الصواب عدوّ الخطا

فلو كنت وحدك شغل الفؤاد لهان البلاء وقلّ العنا

ولكنْ حقوقُ كليوباطرة

حابى : وأى حقوق لها تدّعى

[تدخل كليوباترة]

كليوباترا : حقوقُ الولاية ياذا الغلام حقوقُ الرعاية يا ذا الفتى

وصبرى عليكَ لأجل الفتاة

حابى [مأخوذا] : إلهى لقد سمعت ما جرى

الملكة : وسدّى المسامعَ حبًّا بها وأنت تعين علىّ العدا

وترسلُ فى العرش هجرَ الكلام وتغشى الحفيظةَ لى والقلى

ولكنْ لنفسك الذى قد مضى فمثلكَ تاب ومثلى عفا

دع الذَّوْد عن مِصرَ لى إننى ... أنا السيفُ والآخرون العصا
ولا تُطِع الفِتْيَةَ العابثين ... أُسُودَ الكلام نَعامَ الوَغى

[إلى أنوبيس] [يدخل أنوبيس]

أبى : قد أتيت

أنوبيس : سلامٌ عليك ... شُعاعَ المدائنِ نورَ القرى

الملكة : أبى قد تَلاقَى هنا العاشقان ... وكان بتدبيرى الملتقى
فباركْ فتاتى وباركْ فتاكَ ... وكَفكفْ هواه إذا ما غلا

أنوبيس : حياتك حابى كنيسيةٌ ... يشاكلُ أوّلُها المنتهى
مقيَّدة باليقين القنوع ... وما أمرَ القلبُ أو ما نهى

الملكة : كزَهرِ المقاصير لم ينتفعْ ... بطولِ الأديم وعُرضِ الثرى

أنوبيس : وتحسبُ فى الكتب علم الحياة ... وما منهُ فى الكتب الأشذا

حابى : لعلّ كذى الشك فى حرصه ... يَقيسُ الطريقَ ويُحصى الخُطا
أرى راكبَ الشك ملءَ المجال ... طويل العِنان بعيد المدى
ولو شكّكتْ فى السراج الفراشْ ... لكان سلاماً عليها السّنا

أنوبيس : ولكن تَمُرُّ على ما تراه ... تُجاوزُه نحو ما لا يُرى
وهذا الملاكُ

[مشيرا إلى هيلانة]

كـ ولاته طليـق الإرادة حُـرُّ الجِجَى
تَمَشَّى على جَنَبَاتِ الحيـاة كما يمشى شُـعاع الضُّـحى
يخوض الوحولَ ويغشى الحُلَى ويأوى الحضيضَ ويعلو الذُّرا
ويخـترقُ العَرَصاتِ الفِساحَ وينفُذ من ضَيّقات الكُوَى
ويرتعُ بين أُنوف الأسـودِ ويلعب بين عيـون الظّبـا
الملكة : ولكنهُ طاهرٌ حيث طافَ نـقيُّ الذُّيول عفيف الخُـطا
أَبى قد نسينا حديث القتال فمنـذ الصباح تـدورُ الرحى
وجيش الحليف وجيش العدو يظهـر المدينـة رهنُ الوغى
هنالك يُقضى مصـيرُ البلاد فإمـا البقـاءُ وإما الفنـا
ومن عجب كاد يمضى النهارُ وما من رسولٍ ولا من نبـا

[يدخل جندى من جنود أنطونيو منهوكا يعلوه الغبار]

الجندى : سـيدتى جئتُك بالأخبـار لقد جرت بسعدك الجوارى
انتصرت جنودُنا الضَّوارى تحت لـواء البطل المِغْـوَار
قيصرُ أَنطونيو على آثارى
الملكة : يا فرحَا ما أَعْظـمَ البِشاره! حلَّتْ على أُكتافيو الخَسارهْ
« وأَكتيومُ » قد أَخذنا ثاره خُذْ يا رسولُ هـذه البُشارهْ

[تمنحه بدرّة من الذهب فيخرج من باب وتدخل شرميون من باب]

شرميون : سيدتى يا طربا! سيدتى يا فرحا!
دارتْ على أكتافيُو وجينس أكتافيُو الرَّحى

هيلانة : مَلْكَتى هل تسمعين
[يسمع صوت بوق وهتاف من بعيد]

الملكة [منصتة] : صوت بوق وهتاف
[تقوم الملكة إلى النافذة وترهف أذنيها وعينيها] :

هو واللهِ نشيدى والمُغنُّون جنودى
والمخارِيقُ التى تَخْـ ـفُقُ من بُعْدٍ بُنُودى
ولديْها فارسٌ مُد ثِمٌ شاكى الحديد
يَتراءَى فى عِنان الـ ـجَوِّ كالبُرْج المَشيد
هو أنطنيوسُ ذُخْرى وطَريفى وتَليدى

[إلى شرميون وهيلانة] :

أيها البِنتان هذى ليلةُ العيدِ السعيدِ
صَلِّيا مثلَ صَلاتى واسجُدا مثلَ سُجودى

[يسجد الثلاثة لحظة . ثم تنهض الملكة أولا وتتجه نحو النافذة] :

هو ذا أنطونيو من جانب الميناء أقْبَلْ
هيكلٌ يحمِلُه من صافناتِ الخيل هيكل

الـــرِّداءُ الأرْجُوانىُّ على عِطفيْـه مُسـبل
مَبسمٌ يضحكُ من تحـ ـت جبين يتهـلَّل
هـــو ذا يدنـــو

شرميون : أتى واللـــــهِ
هيـلانة : مـــولاتى تـــرجَّـــل

الملكة [بتدبر الباب] :

أيهـا البنتان هـــذى ليـــلةُ العيـــدِ السـعيدِ

أنو بيس [هامسا لحاتى] :

حابى ، أحيط القصرُ بالذئاب وبى من السُّخط عليهم مابى

[للملكة] :

سيدتى تأذنُ فى انسحابى؟ وتأذنين مَلْكتى لحـابى

الملكة [ضاحكة] :

إلى الأفاعى ؟

أنو بيس : لا إلى المحراب
الملكة : رَأيـكما فى المُكْث والذهاب

[يخرجان ويدخل أنطونيو وحاشيته وقوّاده وتابعه أوروس . أنطونيو يقبل على الملكة مادا يديه]

أنطونيو : إلهَتى !

الملكة : قيصرى !

أنطونيو : سلطانى !

الملكة : مَلكى !

أنطونيو : عندى لكِ اليومَ يادُنياىَ أَخبارُ

الملكة : عَجِّلْ فديتُكَ

أنطونيو : لا، لا بـدَّ من ثمنٍ

الملكة : كرائمُ المـال؟

أنطونيو : ما للمـال مقدارُ

[يمد إليها جرينه فى ضراعة] :

رُدِّى على هامتى الغارَ الذى سُلبتْ فقُبلةٌ منك تعلوها هى الغـارُ

[تقبله]

كليوباترا :

اليومَ تعـلم رُوما أَن ضَرَّتهـا تُقَـلِّدُ الغارَ مَن تَهوَى وتختار

واليومَ تعلمُ روما أَن فارسَها جيشٌ بمفرَدِهِ فى الرَّوْعِ جرّار

أَنطونيو سيدى، هل نحن فى حُلُمٍ؟ أسالمَ أَنت ؟ لا أَسرٌ ولا عار؟

أنطونيو :

أَسرٌ؟ وَهمتِ كليوباترا، أتظفَرُ بى أَيدى الكُماةِ وفى كفىّ أظفـار

لو قلتِ قتلٌ لكان القولُ أشبهَ بى ... كأسُ المنايا على الأبطال دوّار
الحربُ تعلمُ والأيامُ تشهدُ لى ... أنى شديدٌ على الأقران جبّار
لو كنتِ شاهدتنى والحربُ جارفةٌ ... والصفُّ تحتىَ بعد الصفِّ ينهار
قد جُنَّ تحتى جوادى فهو عاصفةٌ ... وجُنَّ نصلى بكفى فهو إعصار
رأيتِ حملة صدقٍ غيرَ كاذبةٍ ... لا السَّيْلُ يحملُها يوماً ولا النار
لما صدمتُ جناحيهم وقلبهمُ ... عن الخيام ومن أوكارهم طاروا
وما وجدتُ لأكتافيو وقادته ... ريحاً ، ولم أتبيّنْ أيةً ساروا
ومالتِ الشمسُ أوكادتْ فراجعنى ... شوقٌ إليك قديمُ الداء سوّار
حتى رجعتُ ولو أنى طردتُهمُ ... لباتَ أكتافُ عندى وانقضى الثار

كليوباترا :

تركتَهم لغدٍ ! هذى مجازفةٌ ... غدٌ غيوبٌ وأسرارٌ وأقدار

[مخاطبة أوروس] :

أوروسُ ، أنت بفنّ الـ ... ـقتال أعلمُ منّى
الحربُ فنّك أورو ... سُ والسياسةُ فنى
إن كان « مرْكُ » إلها ... فأنت فى الحرب جِنى
فكُنْ بحقّك عونى ... وقلْ لقيصرَ عنى

ردّى على هامتى الغار الذى سلبت فقبلة منك تعلوها هى الغار

(صفحة ٣١)

إن المنى لم تُقصّرْ بل قَصّرَ المتمنى
فلو صَبرتم قليلا وسرتمُ فى تأنى
أرحتُمونى وروما من الخصام المُعنّى

أوروس : سيدتى لم تقصدى لما عذلتِ سيدى
عَجّلتِ فى الحُكم على ما لم ترىْ وتَشهدى
لقد حَملنا حملة كمثلها لم يُعهَد
استنقذتْ بأسَ القنا وقُوّةَ المُهنّد
فكان لابد لنا نُرجى القتالَ للغد

أنطونيو : كليوباترا دعينا من تَجنّيك كليوباترا
أتبكين على الصبر وقوم حُرموا الصبرا ؟
وبى من صبرك الواهى جِراحُ الأمس لم تَبرا
لقد مَنّيتُ أسطولى لدى أسطولكِ النصرا
حَليف كنت أرجو أن سأشتدُّ به أَزْرا
فَعبّا تحت أعلامِ كِ حتى زَحما البحرا
وقد كانا الجناحيْن وقد كنتُ أنا النّسرا
وأجرَى الفُلْكَ أكتافيو فأجريتُ كما أجرى
صَففْناها وأرسلْنا بها تَقتحِمُ الجمرا

كلانا مارَسَ الحربَ وعانى الكَرَّ والفَرّا
فلما آذنتنا الحر بُ بالمعركة الكبرى
تَسلَّلْتِ بأسطول لك من غمرتها الحرّى
فقلتُ انسحبتْ ضعفًا وقال الناسُ بل غدرا
ولو كان لهم قلب كقلبي التمسوا العذرا

كليوباترا: أنطونيوسُ مَلكى أنطونيوسُ سيّدى
ليس العُبوسُ سُنَّةً لوجهك الطَّلْق النّدى
ولستَ من يغضبُ فى ليل الشّراب والدَّد
ولستَ للكأس على شاربها بالمُفسد
قلبُك كنزُ الحب والـ ـرحمة والتودُّد
وكم حَقَدتَ ثم أصـ ـبحتَ كأن لم تحقد
ألستَ بالأمس وأمـ ـس لفتنة لم تبعُد
وَهبتَ لى جريرتى والصفحُ نصفُ السُّؤدد
فاطوِ معى حوادثَ الـ ـأمس ولا تُجدِّد
وامضِ معى فى لَذّةِ الـ ـيوم ودَعْ هَمَّ الغد

أنطونيو: كليوباترا بحبِّيك من التأنيب خلّينا
لقد سُقتُ وقُوّادى إليك النصر فاجزينا

مُرِي بالكاسِ والطاسِ ... و بالنَّدمانِ يَسقينا
و بالقَصفِ و بالعزفِ ... وحُذَّاقِ المُغنّينا
وما طُيِّبَ ألوانًا ... وما طابَ رياحينا
وقولي الشعرَ عُلْويًا ... كما كنتِ تقولينا
وأوحيه إلى شاديـ ... ـك يُلقيهِ فيُشجينا
غدًا نستأنِفُ الحربَ ... ونَطويها ميادينا
انشو : ونَغشاها مَخامِيرَ ... ونلقاها مجانينا
كليوباترا : مُرْ بما شئتَ قيصرُ ... وأَشِرْ كيف تأمرُ
لكَ قصري وما حوى الـ ... ـقصرُ كُلٌّ مُسخَّر
ليس شيءٌ وإن غلا ... عن حبيبٍ يُؤخَّر
لَتكونَنَّ ليلةً ... آخرَ الدهرِ تُذكَر
لا نُبالي إذا صَفتْ ... بعدها ما يُكدِّر
تَحلُمُ الحُلْمَ لستَ تَد ... رِي بماذا يُفسَّر

[لوصفائها ووصيفاتها] :

البِدارَ البِدارَ يا وُصفائي ... ووصيفاتيَ البِدارَ البِدارا
قيصرٌ قيصرٌ هو الآمرُ النا ... هي على القصرِ فليكنْ ما أشارا
هو يبغي وليمةً فاصنعوها ... وانسقوها كما اشتهى واختارا

أَطلِعوا هـذه الشموعَ شُموسًا تَـذَرُ الليـلَ بالعَشِيِّ نهـارا
وأعِدّوا الخوانَ قد مُثِّل الأل ـوان شَـتَّى وجُلِّلَ الأزهـارا
واجمعوا بالمُدام شَمْل النَّـدامَى وأديروا الكئوسَ والأوتارا
واجعـلوها وليمـة وبِسـاطًا يتبـارى خلاعـةً ووَقارا
مصرُ إن أولمتْ سَمتْ بالأغانى درجات وأسمت الأشـعارا
لا تَسـيروا عـلى ولائم روما سَرَفًا فى الفُسـوق واستهتارا
كلما أولمتْ أساءتْ إلى العقـ ـل وجَرَّتْ على الحضارة عارا
ولقـد تجعـلُ النَّهـارَ نَدامى ها وأسْـد العَرينـةِ الشُّمّارا

قائد رومانى [لزميله غاضبا] :

أتسمعُ ما تقـول عَدوُّ روما؟ قـد اجترأتْ على روما البَغِيُّ
أتحـت لـوائهـا وبجانبيهـا يخوضُ الحربَ مِن روما كَمِيُّ؟

الآخـر :

غـدًا تَلقى وإن غـدًا قريبٌ عقـابًا فى البـلاد له دَوِيّ

الأول [لأنطونيوس فى عتب وغضب] :

أميرىَ أنطونيو أفى الحق أننا نَبيتُ سُـكارَى والعدو مُبيِّتُ؟

[ينظر اليه أنطونيو نظرة طويلة ثم ينصرف عنه إلى كليوباترا فيهمس القائد] :

ألا إنه ليـلٌ له ما وراءَه غرامُك حتى فيه والمجدُ ميِّت

الفصـــل الثـــانى

«فى حجـــرة الولائم بالقصر الملكى ، حيث ترى كليوباترا ورصيفتاها هيـــلانة»
«وشرميون ، وأنطنيوس ، وأوروس ، وبضعة من القوّاد الرومان ، وأوليوس»
«طبيب الملكة ، وأنشو مضحكها ، وعانميز ساقيها ، وحاجب يعلن أسماء القادمين»

أنطونيو : قيـــامًا نَشرب الخمـــرَا عـــلى حُبّ كلـــوباترا
كليوباترا : على حُبـــك أنطـــونيو على الجيش على مصرا
قائد رومانى : على روما
كليوباترا : دَعـــوا روما ولا تُجروا لهـــا ذِكْرا
فما أنطـــونيو منهـــا وإن كان ابنَها البِكْرا
ولكنْ تحت أعلامى يَقـــودُ البرَّ والبحرا
القـــائد : أحـــقٌّ مارك أنطونيو ســـ مِن رومِيَّةٍ تَـــبرا ؟

[تنظر اليه كليوباترا فيقرأ فى عينيها ما تريد]

أنطونيو : أجلْ أتّبـــعُ مـــولاتى ولا أعصِى لهـــا أمرا
كليوباترا : على حُبـــكَ أنطـــونيو
أنطونيو : ثلاثًا أربعًـــا عَشْرًا
أنشـــو : وإن شئتَ فعشرينَ الى ما فوقهـــا سُـــكْرا
وإن شئت من الدنيا وصَلْنا السُّكْرَ للأخرى

To: www.al-mostafa.com

قائد رومانى [لزملائه همسا] :

دَعـوا أنطونيـو إنى أرى السُّـكْرَ به أزرَى
لقـد كان الفـتى القَطْنَ فصـار الحَـدَثَ الغِـرّا

قائد آخر [همسا] :

سَنَلبثُ ساعةً نَحتالُ حتى إذا سُلَّتْ عُقـولهمُ انسلَلْنا
فما المُتدلِّه السَّكِيرُ أهلا لِتنصُرَه السيوفُ إذا استُلِلْنا

الحاجب :

أَيـاسُ المُغَـنّى وجَـوْقَةُ العُـزّافِ
وراقصاتُ القصر

[يدخلون]

كليوباترا : أهـلًا بوفـدِ الآلهـهْ أهـلِ الفنونِ النابهْ

الحاجب : الشيخُ زَيْنون

رُبّانُ أنطونْياد [يدخلان]

أنطونيو : ماذا عن الأُسطول منـ ـكَ يا أخِيـلُ نَعلمُ ؟
هـل نَجَـدتْ فتنتُـه أو لم تَزَلْ تَضَـرَّمُ ؟

أخيل : مَـولاىَ إن البحرَ يُخـ ـفى سِـرَّه ويكتُمُ

وما نـــواه فى غـــد مثـــلُ غـــدٍ مُستَبْهم
فـلا أقـــولُ مُقـــدِمٌ ولا أقـــولُ مُحجـــم
ولا أقـــولُ يَنـــبرِى للحـــرب أو يَستَسلم
كليوباترا : أخيلُ ، دَعْنا من غدٍ إن غـــدًا تَوهّـــم
أخيلُ ، ما العيشُ سوى ساعةِ صـــفوٍ تُغـــنم
فـلا تَكنْ كداخـــل على النَـــدامَى يلطـــم
أتيْتَهـــم مُنـــادمًا لم تَأتِهـــم ليَنـــدموا
اليـــومَ شُربٌ
زيـــون : وغـــدًا حـــربٌ
عالمـــير : كلامٌ مُحكَمٌ !
الحاجب : بـــولا الشـــاعرْ حَـــبْرا الســـاحرْ
كليوباترا [ضاحكة] :
حَبْرا ، أعنـــدكَ سِحـــرٌ يَشُلَّ طاغوتَ رُوما ؟
ويَجْعَلُ النـاسَ فيهـــا حِجـــارةً ورُســـوما ؟
[القوّاد الرومانيون يدمدمون]
أنطونيو : سيدتى لاتجرحى فُؤادى ولاتنالى بالأذى أجنادى
وقلّلى السُّخط على بلادى

كليوباترا : أنطونيو ما أنت رومانىٌّ ألم تقـلْ إنك لى جُندىٌّ؟
أنطونيو : بلى، وددت أننى مِصرىٌّ وأننى تابعُـك الـوفىٌّ
* ما فى سوى رضاك لى مُضِىٌّ *

أنشـو : تـلك واللهِ قضـيهْ أصـبح الراعى رَعيّـهْ
حَـكم الحبِّ عـلى قيـ ـصـرَ والحُـب بليّـهْ
صـار كالشعب وسَاوَى هَمَجَ الإسكندريهْ!
أنطونيو : حبرا، تكلّمْ ألا عجيبهْ؟ من سِحرِ منْفٍ أو سِحرِ طيبهْ
حـبرا : إلهَ الحـرب سامحنى فإنى غُلِبتُ على أبا لستى الغِضابِ
همُ لا يَجلِسون على غِنـاء ولا يتحدّثون على شراب!
كليوباترا : ولكنْ قيصرٌ يَدعوك حبرا وقيصرُ لا يُردُّ بلا جواب
وانت الكاهنُ العرّافُ فانظر أغيرُ السحر شىءٌ فى الحراب
حـبرا : إذا ما شئتِ مولاتى فإنى أُطالع فى الكُفوف وفى الكتاب
كليوباترا : أُدْنُ من قيصرَ حـبرا وانظُـرِ الكفَّيْنِ واقـرا
أنطونيو : تعـالَ حـبرا وقلّـبْ يَـدىَّ يُمنَى ليُسـرى
لعـل أسـرارَ كفى كواشِـفٌ لك سِـرا

[يتقدّم حبرا و يمعن فى كف أنطونيوس]

ألا ترى لى بقـاء؟ ألا ترى لى عمرا؟

(صفحة ٤٣)

ألا تَرى لى بقاء ؟ ألا تَرى لىَ عُمرا؟

حبرا : يا عَجَبَ الفال ! مولا ى أعجبُ الناس أمرا
حياتُه بيديْه والناسُ يَحيَوْن قَسْرا
إن شئتَ عشتَ نهارا أو شئتَ عُمِّرْتَ دهرا

[قائد رومانى إلى زملائه همسا] :

لو كنتُ منه قريبًا لقلتُ فى أُذْن حبرا
حياتُه فى يَدَيْه أم فى يَدىْ كليوباترا !

كليوباترا : تعالَ الآنَ سَلْ كَفّى وبَيِّنْ ما الذى تُخفى

[يتقدم حبرا إليها و يمسك يدها بعناية وشغف]

حبرا : يا لكِ كَفًّا كنقِيِّ العاج ناعمةٍ تُكمَلِ الدّيباج
لامِسُها من الجحيم ناجِى !

[ضحك]

تفدى الأَكُفُّ كلُّها يمينا بيضاءَ حمراءَ تَرِفُّ لِينا
كما أَظَلّ الشّفقُ النّسرينا

أنطونيو [ضاحكا] :

سمعتِ حبرا مَلْكَتى كيف ابتكرْ كُلِّف أن يَصنعَ سحرا فشَعَرْ

بولا الشاعر : السحرُ والشعرُ سواءٌ فى الأثرْ

كليوباترا : لقد أعجبكَ الشعرُ وراقتْكَ معانيهِ
وما سَرّك أنطونيو سُروري كلُّه فيه
فما تأمرُ فى حبرا بأىِّ البِرِ أجزيه؟

حبرا [لأنطونيو] :

جائزتى يا سيّدى تقبيل هذه اليدِ!

أنطونيو [ضاحكا] :

قَبِّلْ ولا تَرَدَّدِ!

[يقبل يديها بين إقدام وإحجام]

حبرا : عَجَبٌ عينَىَ لا تقـ ـوَى على هذا الضياء
هذه كفٌّ إليه جاء فى زِىِّ النساء

كليوباترا : خَلِّنى مِن زُخرُف المد ح ومِن زورِ الثناء
ما وراءَ اليد يا عـ ـرّافُ من غَيْب القضاء؟
أحضيضٌ يومَى الآ نِ ـ قل لى ـ أم سماء؟
خاتَمُ الأيام أوْلَى باهتمام العظماء

حبرا : مَلْكتى يومُكِ فى الأيّام منشور اللواء
نابهُ الصبح كيوم الـ ـشمس عُلْوِىُّ المَساء

خَطَـر العِـز عليـه ومشى فيـه الإباء
ثم يَتـلوه بقـاء لـم يُطـاولْه بقـاء

أنشو [لزينون] :

رأيتَ الشعرَ قدأجدَى فماذا قلتَ يا فار ؟

زينون : إلهـتى ومَلاكـى كُفِّى المُهـرِّجَ عـنى
قـد نال منى ولـولا ناديك ما نال مـنى

أنشـو : سيدتى عبدُكِ أنشو قـد صدقْ
الفـارُ فى مَكتَبَةِ القصـر نطـق
يقـول إن أسرِقْ فزينونُ سَرق !
هَمَّ فى الجِـلد وهَمُّـه الـورق
يَبسـطو على آثار كلِّ من سـبق !

أنطونيو : إنى أرى أنشو وأمثـالَه زادوا على زينونَ فى الجُرْأَهْ
يا وَيْحَ للشيخ على فضـله أصـبح فى مَجلِسهم هُزْأَهْ

أنشـو : هَبـوه فى الدرس بحـرًا هبـوه فى العـلم أُمَّـه
لا يَحـلُقُ العـلمُ نفسًـا ولا يُنبِّـه هِمَّـه

كم عالم فى يد الجـا هاين مُلقَ الأَزِمَّـه

كليوباترا : أقِلَّ المَـزحَ يا أنشو وأرسـلْه بمقـدار
فلولا الجهلُ مارُحتَ تَقيسُ اللّبثَ بالفار

زينون : يا سماء احفظى و يا أرض صونى
أظهـرتْ عَطفَها على زينـون !

كليوباترا : يـا غانمـيز هاتِ النبيـذْ
هاتِ اسـقنى واسقِ الحبيب
واسـقِ المَـلا

بولا الشاعر : بنتُ الدِّنـانْ أمُّ الزمانْ
خبّـأهـا فى قَـبْـوِهِ
ساق مِنـا
لـونُ الفَـرَحْ حِنّـا القَـدَحْ
سِـرُّ السرورْ صَـفوُ الحيـاهْ
قُـوتُ المُنى

كليوباترا : قيصرُ، ذى سُلافةُ الفيومِ
تُنْمَى إلى عَقـائل الكُروم

مَخبوءة من عهـد مصرائيم
قـد عُمِّرت كعُمر النجوم
دِنانُ مصرٍ لا دِنانُ الروم

القوّاد الرومان [يدمدمون و يتهامسون] :

قائـد : قـولوا يا رومانيّونا تحيا روما

آخـر : تحيـا

ثالث : تحيـا

أنشو [ضاحكا] :

تحيـــا الخمـر يحيـا السُّـكْرُ

القوّاد : تحيـــا روما

جماعة من المصريين : تحيـا مصـرُ

أنطونيو : أيها الشادى أياسُ بلـغ السُّـكْرُ مَـداهْ
غَنِّنى شـعرَ مَلاكى غنـنى شـعرَ الإله
أنا لا أطرَبُ حتى أسمعَ «الحبَّ الحياه»

أياس [مغنيا] :

أنا أنطونيـو وأنطونيـو أنا ما لرُوحينا عن الحُب غنَى

غَنِّنا فى الشوق أو غَنِّ بنا نحن فى الحب حديثٌ بعدنا

***

رَجَّعتْ عن شَجوِنا الرِّيحُ الحَنونْ وبعينيْنا بَكَى المُزْنُ الهَتونْ
وبَعثنا من نُفاثاتِ الشُّجونِ فى حَواشى الليل بَرقًا وسَنَى

***

خَبِّرى يا كأسُ واشهدْ يا وتَر وارْوِ يا ليلُ وحدِّثْ يا سحرْ
هل جَنيْنا من رُبا الأُنس السَّمرْ ورشفنا من دَواليها المُنَى

***

الحياةُ الحبُّ والحبُّ الحياهْ هو من سَرْحتها سِرُّ النَّواهْ
وعلى صحْرائها مَرَّتْ يداه فجرتْ ماءً وظلا وجَنَى

***

نحن شعرٌ وأغانٍ غدَا بهوانا راكبُ البيد حدَا
وبنا المَلّاحُ فى اليمّ شدا وبَكَى الطيرُ وغَنَّى مَوْهِنا

***

مَن يكُنْ فى الحب ضَحى بالكَرَى أو بمسفوح من الدمع جرَى
نحن قربنا له مُلْكَ الثرى ولَقِينا الموتَ فيه هيّنا

***

فى الهوى لم نألُ جُهدَ المُؤثر وذهبنا مَثَلًا فى الأعصُر

هو أعطى الحبَّ تاجَ قيصر لم لا أعطى الهوى تاجَ مِنا

* * *

صوت : مرحى مرحى يحيا الفنُّ

آخر : يحيا الشعرُ

ثالث : يحيا اللحنُ

[تقوم كليوباترا الى شرفة فيتبعها أنطونيوس]

قائد رومانى [لزميل من زملائه هامسا] :

هلّا نظرتَ الى الأميرة؟ إنها سَكْرَى تَعثُرُ فى خليع عِذارها

آخر : وتأمّل المفتونَ كيف جرى على آثارها والبحرُ فى تيارها

آخر [لزملائه حيث يسمعه أوروس وأولبوس] :

وانظرْ الى أوروسَ فى تَرَدِّدِهْ يأبى الهُتافَ معنا لمَولِدِهْ

أولبوس [ساخرا] :

أوروسُ مِلءُ يومه مِلءُ غدهْ فتى تَضِجُّ الحربُ من مُهنّدهْ

ويَشتهى الأبطالُ فضلَ سُؤدده قد راعنى فناؤه فى سيده

بنفسه وقومه ومَولده يَغلو غُلُوَّ الكلب فى تودّده

يُقيِّدُ الكلب وراء مَرصَده فيحرسُ الدارَ على مُقيّده

أوروس :

تلك الدُّعابةُ يا طبيبُ ثقيلة فحذارِ ثم حذارِ من تكرارها
لولا الوليمةُ والشَّرابُ وحُرْمة لأميرة الوادى السعيد ودارها
انتزعتُ من أقصى لهاتك مُضْغَةً كثُرَتْ على الأبطال فى استهتارها

أولبوس :

أوروس !

أوروس :

أولبوسُ صَهْ بَرِحَ الخفا ورأيتَ نفسَك فى مَفاضِح عارها
ماذا خَبأْتَ من السُّموم لملكةٍ غفلَتْ عن الأفعى ولُؤم جوارها ؟
إلّا تكنْ علمتْ فإنك عندنا جاسوسُ ا كتافيو على أسرارها
ما زِلتَ منذ وفدتَ تُطلِعُه على أخبار قيصر أو على أخبارها
إنا رجالَ الحرب ليس يَفوتُنا لَحْظُ العيون ولا خَفِيُّ حِوارها

[أولبوس يحاول أن يتكلم فيمسك به قائد رومانى ويهمس إليه] :

أقْصِرْ أخى إن الجماعةَ عَربدت فإذا بَجَحتَ لَفَتَّ من أنظارها
إسلَمْ بنفسك فى الظلام ولا تُثِرْ ريبًا أخافُ عليك غِبَّ مَثارها

تلك الدعابة ياطبيب ثقيلة فحذار ثم حذار من تكرارها

(صفحة ٥٠)

إنى لأخشى الكأس أن تجرى دَمًا فتُصيبَ شيئًا من رَشاش عُقارها

أولمبوس [لمسه وهو يسل الى الخارج] :

أوروس ! أنطونيو ! حسابُكما غدًا روما الأبيَّةُ لم تَنَمْ عن ثارها

[يخرج]

أنطونيو [من أقصى البهو] :

أما للرقص هيلانة ةُ فى ليلتنا حِصَّةْ ؟

ألا نَجمَعُ بين الكا س والنغْمة والرقصه ؟

فهذى فُرصةُ الأُنس وقد لا تَرجع الفُرصه

هيلانة : الراقصاتُ يَقَمْنا الراقصاتُ يَثِبنا

ولا يَدعْنَ افتنانا ولا يُقصِّرْن فَنا

[تقوم الراقصات ، برقصة مصرية]

أنطونيو [نادما] :

مرحى مرحى يحيا الفنُّ

صوت : يحيا الرقصُ

آخر : يحيا الحسنُ

أنطونيو :

قد انتصف الليلُ أوفوق ذاك وآذننا بالمُضىِّ الدُّجَى

ودونَ الخيـام سُرَى ساعةٍ وعند الصباح تَدورُ الرحى
فهل تَأذَنين لنـا يا مَلاكُ فلا بد من سِـنةٍ من كرى
ولستُ أقولُ مَلاكى الوداع ولكن أقـول إلى الملتقى

كليوباترا :

مكانَك فيصـرُ لا تَذهَبَنّ ولا تبْرَح القصرَ أهلِكْ أسَى

أنطونيو :

ذَرينى أُعبِّئْ للقتال كتائبى فلى فى غدٍ شأنان فى البر والبحر
ذرينى اهيِّئْ للأحاديث فى غدٍ فإن غدًا يومٌ سيبقى على الدهر
ذرينى أَزِدْ تاجيْك غارَ وقائعى وأقـرِن بثعبانَىْ جلالهما نَسرى
ولستُ أخافُ الدارعِينَ وإنما أخافُ فُجاءاتِ الخيانة والغدر
وليس كَمِينَ الحرب ما أنا هائبٌ ولكن كمينَ الغدر فى ظُلمة الصدر

[الأحيل] :

فياقائدَ الأسطول هل من مَكيدةٍ تُدبِّرُلى خَلفَ الشّراع وما أدرى؟

كليوباترا :

إمضِ إلى الهيـجاء أنـ ـطونيـو كما يَمضى الأسـدْ
إن الأسـود فى اللِّبَـدْ دونـك فى هـذا الـزَّرَدْ

إمض إلى المجـد ولا يُقعِدْك شُغلٌ فى البلد
المجدُ لا يَسألُ عن صاحبـةٍ ولا ولَـد
أنت اسروما فى غـد وقيْصرونُ بعـد غـد
والشرقُ سلطانى الذى إكليلُه لىَ انعَقَـد
يالَيْتُ سِرْ، يانَسرُ طِرْ عُدْ ظافرًا أو لا تَعُـد

« ســـتار »

الفصل الثالث

« معبد فى الاسكندرية ، يقسم جداره المسرح الى قسمين »
« القسم الأصغر خارج المعبد وتنهض فيه شجرة باسقة ، والقسم »
« الأكبر داخله وتظهر فيه حجرة الكاهن الأكبر أنوبيس »
« وعلى جدرانها رفوف نسقت عليها حقائق وقوارير وهنالك »
« صرر وصناديق يشف بعضها عما فيه من أقاع وحيات — باب »
« خلفى يؤدى الى المعبد ، ونافذة جانبية تطل على الفضاء »

[فى حجرة الكاهن أنوبيس]

أنوبيس [يناجى نفسه] :

يقولون أنوبيسُ ... وَلوعٌ بأفاعيه
ومشغوفَ بثعبانٍ ... من الوادى يُربّيه
وفى ناديه حيّاتَ ... من الجنِّ تُناجيه
ولو ذاقوا هوى العلم ... كما ذقتُ فنَوْا فيه
ألا يارُب خدّاعٍ ... من الناس تُلاقيه
يَعيبُ السُّمَّ فى الأفعى ... وكلُّ السم فى فيه!

[يخرج من الباب الخلفى]

* * *

[خارج الهيكل — تحت الشجرة — أنطونيوس وأوروس]

أنطونيوس : أوروس إنى جَهِدتُ مَشيا ... ومَسّنى الضُّر والكَلالُ

فَـلْ بنا نَستريحْ قليـلا من قبلِ أن يَدهَمَ الرجال

[يجلس أنطونيوس منهوكا على حجر متأخذه الذكرى] :

أوروسُ،ماذا دهانى؟ حتى نَسيتُ مكانى
أتيْتُ ما هَدّ مجدى وحَطَّ رفعـةَ شانى
جلّلتُ نفسى بعـار يبـقى بقـاء الزمان
لمـا حَمَلتُ جوادى على الفِـرار ازدرانى
وضجَّ مِـنىَ سـيفى وصجّ مـنى سِـنانى
ووَدّتِ الأرضُ تحتى لو طُهِّرَتْ من عِيانى
أنا الذى كان أمضَى من الحـديد جَنانى
الشرقُ يَدرى نِزالى والغربُ يَدرى طِعانى
كانَ الملوكُ عبيدى فصِرتُ عبدَ الحسان
ولسـتُ أوّلَ حُـرٍّ إستعبدتْه الغـوانى

[يسكت لحظة ثم يستمر] :

ولم أرَ كالحرب استراح قتيلُها وأفضى الى القَيْدِ الأسيرُ المُقَيَّد
ولكن شقُّ الحرب والمُصطلى بهـا
إذا انفضّتِ الحربُ الطريدُ المُشرّد

ولولا اختلافُ الحرب بالناس لم يَهُنْ
عزيزٌ ولم يَنزِلْ على القيْد سيّد

أوروس :

وقارَك قيصرُ لا تجزعنّ ... وخلِّ المقاديرَ تجري المدَى
تلقّ الهزيمةَ ثبْتَ الجنان ... كما كنتَ تلقى الفُتوحَ العُلا
فما أنتَ أوّلُ نجمٍ أضاء ... ولا أنت آخرُ نجمٍ خبا
وقد تنزِلُ الشمسُ بعد الصعود ... وتَسقَمُ بعدا عتدال الضُّحَى
ويارُبَّ غارٍ عَراه الخُفوفُ ... على هامةٍ قد علاها البِلى
أمالك أنطونيو أُسْوَة ... بيوليوسَ قيصرَ أين انتهى؟
رأيتك والحربُ تبْلو الكُماةَ ... فأشهدُ كُنتَ إلهَ الوغَى
وقد كان سيفُك غولَ السيوف ... وكانت قَناتُك غولَ القنا
وكنتَ إذا الموتُ أفضَى إليك ... تَعدّيتَه فانثنى القَهقَرَى
وكان جُنودُك شرَ الجنود ... عليك وخيرَهمُ للعِدى
فخانت أساطيلُ أمّتَها ... وجيشٌ عَقدْتَ عليه الرجا
وخُلِّفتَ في عسكرٍ كالنّعاج ... كثيرِ الثُّغاءِ قليلِ الغَنا
فمن يائسٍ مات قبل القتال ... ومن خائنٍ فرّ قبل اللقا

أنطونيو :

إذنْ لم أكنْ فى الوغى بالجبان ولاخُنتُ أوروسُ عَهدَالهوى؟
وتشهدُ أنىَ أنطونيوس وأنى ابنُ روما وأنى الفتى؟
فإن عِشتَ عِشتُ نَقِىَّ الجبين وإن مِتَّ مِتُّ كريم الثنا

[يرى أنطونيو شبحا فيسأل أوروس مبهوتا]

أنطونيو : أوروسُ !

أوروس : مولاىَ

أنطونيو : تأمَّلْ مَن ترى؟

أوروس : هذا أولمبوسُ وقد حَثَّ الخُطا

أنطونيو : تُرَى إلى أين؟ ومن أين أتى؟

أوروس : ها هو سارٍ نحونا ها قد دَنا

[يظهر أولمبوس]

أولمبوس : تحيـــةً قيصـــرُ

أنطونيو : بل أنطونيو لاغير بل قُلِ الشَّريدالمُقتَفى
لاتخدعونى قادراً وعاجزاً كنفى غروراً بالولايات كنفى

أولمبوس : مـــولاى

أنطونيو : لستُ اليومَ مَولَى أحدٍ أكتافيو السَّيدُ والعبدُ أنا

مررت بالقصر فكيف ناسُه؟ هل عن كلوباترا أولمبوسُ نبَا؟
صرِّحْ أبِنْ، قُلْ عَدرتْ، فل جَدِّدتْ بقيصر الثالث دُولةَ الهوى
قد صَنعتْ بى عند حاجة الوغى ما لم يكنْ يصنعهُ بىَ العدا
أسطولُها إلى مراسيه أوَى وجيشُها ألقى السلاحَ ونجا

أولمبوس : مولاى! أعْفِنى

أنطونيو : تكلمْ لا تخفْ إنى أرى عليك رَوْعَةَ الأسى

أولمبوس :

مولاى مهلًا فى الظنون واتئِدْ إن من الظن اتهاماً وأذى
أنت على مالكَ من مُروءةٍ رميْتَ بالغدر أحب مَن وفى

أنطونيو : ماذا تقول ؟

أولمبوس : كليبترا انتحرت بطعنة الخنجر فى صدر الضحى

أنطونيو :

ياللسماءِ! انتحرتْ! أين؟ أَينْ؟ ولمْ؟ وكيف كان ذاك؟ ومتى ؟

أولمبوس :

مَررْتُ بالقصر ضُحَى اليوم فلم أَجدْ له نَظْما ولا حُسنا يُرى

بَدا لعينيَّ خَلاءً موحشا غيرَ عويلٍ هاهنا وهاهنا

أنطونيو : إنتحرتْ ! يا للخبرْ! ويا لِقسوة القدر !

إن الأمورَ انتقلتْ من خَطرٍ إلى خَطر

ما غَدرتْ وإنما أنا الذى بها غَدر

واعْجَلتا من قولهم انتحرتْ وما انتحر !

إذهب أُولبوسُ ودعـ ـنى والهمومَ والكدر

ما بجراحات القلو ب للأطبّاء بَصَر

[يذهب أولبوس]

[روما] :

روما حنانَك واغفرى لفَتاكِ أوّاه منك وآه ما أقساكِ !

روما سلامٌ من طَريدٍ شارد فى الأرض وَطّنَ نفسَه لهلاكِ

اليومَ يَلْقى الموتَ لم يَهْتِفْ به ناعٍ ولا صَحَّتْ عليه بواكى

إن الذى أعطاكِ سُلطانَ الثرى لم تنعمى لرُفاته بثَراكِ

إن الذى بالأمس زِنتِ جَبينَه بالغارِ عَفَّك جُهدَه وعصاكِ

يا رُبَّ تاج فى جبينك زاهر عَطّلتُ منه مَفارِقَ الأملاكِ

الأُمّهاتُ قلوبهُنّ رقيقةٌ ما بالُ قلبِك لم يَلِنْ لفتاكِ !

أَعْرَضْتِ غَضْبِي فى الحياة فرحمةً ... لا تحرمينى فى الممات رِضاك
إن كان موتى كلَّ ما تبغينه ... فهَناك ! هأنذا أموتُ، هَناك !
يا أُمُّ، عُذرُك فى اتّهام بُنُوّتى ... بادٍ وعُذرِى فى العُقوقِ كذاك
لولا الجمالُ وفتنة من سِحره ... ما حَلَّ فى قلبى هوًى لسواك
صفحًا كليوباترا فربَّتَ زَلّةٍ ... قد كنتِ تغتفرين حين أراك
لما لَقيتُك فى الجمال وعِزِّه ... قَهرتْ قُوَاى الظافراتِ قُواك
فنسيتُ فى ناديك ذِكْرَ وقائعى ... وسَلوْتُ أيامى بيوم لِقاك
سجدَتْ لأعلامى الصَّوارمُ والقَنا ... وأبَى مُهنَّدُ لَحْظك الفتّاك
قدتُ الجحافلَ والبوارجَ قادرًا ... ما لى ضَعُفتُ فقادنى جَفناك؟
أخرجتِ أمرِى واختيارى من يَدى ... وتَركتِنى نفسًا بغيرِ مِلاك
خِلتُ السلامةَ فى نَوالِك فذُقتُها ... فإذا الكوارثُ كلهنَّ نَوالك
عاديتُ قومى فى هواك وأضرمتْ ... روما علىَّ الحربَ من جَرّاك
وشَرَدْتُ فى شرق البلاد وجَدَّفى ... طلبِى عِداىَ بغربها وعِداك
أغدو على سيف العدوِّ وناره ... وأروحُ بين مكامِنٍ وشِباك
وتلمَّستْ نفسى السيوفُ ورامنى ... فى البر والبحر الكمِىُّ الشاكى
كانت حياتى للرجالِ أليّةً ... واليومَ هُنْتَ فأقسموا بهلاكى

ولقد ذهبتُ من الظنون مذاهباً ... فدَمَمتُ عهدكِ واتّهمتُ وفاكِ
حتى إذا حُسِمَ القضاءُ وراعني ... عُطُلُ المقاصر من بهاء حُلاكِ
ضَحّيتُ بالدنيا وقُلت رخيصةٌ ... وبَذلتُ أيامى وقلتُ فِداكِ

* * *

أمانًا إلهَ الحرب ما أنت صانعٌ ... بهذا الحُطام المُستباح المُبعثَر ؟
لقد ذَلّ من بعد امتناعٍ كأنه ... بقيةُ نَصْلٍ أو رُفاتُ غَضَنْفَر
صَدعتَ أكاليلى وحَطّمت صارمى ... وجرّدتنى من أرجوانى المُظَفّر
ولم تألُنى هدْماً وكنتَ بَنيْتَنى ... بناءَ الصّناع القادر المُتصبّر
ملأت سبيلى بالهوى وصروفه ... ومن يمشِ فى أرض الهوى يتعثّر
تنكّرتَ حتى اخترتَ لى معْولَ الهوى ... فليتَك لم تغضبْ ولم تتخير
أُروسُ غلامى، إن فى النفس حاجةً
أوروس : ... وعندىَ أقصى طاعة العبد فأْمُر
أنطونيو :
أُوروسُ أرى الدنيا بعينىّ أظلمتْ ... وكانت قديماً كالصباح المنوّر
وضاقت بىَ الأرضُ الفضاءُ فكلُّها ... سبيلُ طريدٍ ضائع الدّم مُهدَر
غويتُ وأوْفَى بى على الحُفرة الهوى ... فخفتُ، ومن يركبْ شَفا الجُرْف يُذعر
فشَعوريةُ الخوف اعترتْنى ولم تكُنْ ... إذا ما اقشعرّتْ تحتى الأرضُ تعترى

مُلِئتُ من الأحداث رُعبًا فضُمَّنى ... اليك وقَرِّبْ من إزارك مِئْزرى
أرى الموتَ ممدودَ اليدين كمنقذ ... لمثلى من غَرْقَى الحياة مُسَخَّر
دعانى، ولو أنى على النفس مُشْفِقٌ ... مَدَدْتُ إليه الكفَّ لم أتأخر
أُروسُ، أرى الماضى يُطيفُ خيالُه ... وتَعرِضُ لى أحلامُهُ فى التذكر
ذكرتُ بروما أرْبُعِى وملاعبى ... وأين ضفافُ النيل من شَطرَتيبَر؟
وأيامَ يَدْعونى الهوى فأُجيبُه ... وينفخُ فى البُوق المنادى فأنبرى
فَتَنْتُ الغوانى بُرْهةً وفَتَنَنى ... ولكننى عن سُؤدَدٍ لم أقصر
فهمَّةُ قلبى فى شرابٍ وصَبْوةٍ ... وهِمَّةُ نفسى فى عَلاء ومَفْخَر
أروسُ تواقَفنا على كلِّ غَمْرةٍ ... وكلِّ مجالٍ ثائرِ النَّقْع أكْدَر
وفى مِهرجان الفاتحين وعُرسِهم ... وتحت لِواء أو على عُودِ مِنبر
فمالتْ بنا الدنيا فصِرنا بموقفٍ ... شديدٍ على الأبطال بالذل مُشعِر
نرى الأرضَ فيه والسماء تناهتا ... إلى فَلَكٍ تَحْسِر الجهاتِ مُسَمَّر
فكيف مُقامى يا أروسُ على الأذى ... وصبرى على العيْش الذليل المكدَّر!

أروس :

أجلْ قيصرُ اعتضْنا من العِزِّ ذِلَّةً ... ومن حِلْيةِ الأعلام عُطْلَ التنكُّر
فهُنَّا كأنقاض الحصون على الثَّرى ... وضعنا عليه كالقنا المُتكسِّر

نَعِيمُ كأبناء السبيل وطالما أخَفْنَا سبيلَ العاهِلِ المُتَكَبِّ
ومامَنزِلُ الأبطال إلا رَحَى الوَغَى إذا هي دارتْ أو رِواقُ المُعَسْكَ

أنطونيو : فماذا ترى أوروس ؟

أروس : رأيُك أوَّلُ وعندك تُرجَى نَظْرة الصدق فانظ
لقد عِشتُ ظِلًّا لا أرى غيرَ ما تَرَى ولا خيرَ فى الرأى التَّبِيع المُسَيَّ

أنطونيو :

أروس ، أنا الأعمى وأنت لى العصا فخُذْ بزِمام العاجز المُتَحَيِّ

أروس :

أرى ما يراه العاجزون إذا جرى على النفس محتوم القضاء المُقَدَّ

أنطونيو :

وماذا يقولُ العاجِزون إذا ابتُلُوا ؟

أروس : يقولون حُكْمُ اللهِ يا نفسُ فاصبرى

أنطونيو :

أروسُ ، يقومُ العاثرون وقلّما يُقالُ عِثارُ الكَوْكَبِ المُتَغَوِّ
أروسُ ، ألم تفهمْ ؟ هو الذلُّ فاشفِنى بِضَرْبةِ سَيْفٍ أو بِطَعنةِ خَنجَ

فإنسك حـرٌّ إن فعلتَ وفا ئـز بسيفي وأثوابي ودرْعي ومِغْفَري

أدروس :

مَعاذَ خلالِ البرِّ مولاى ! أَعْفِنى فليس يدى تَقْوَى ولا السيفُ يجترى
وأنت الذى لو بِيعَ بالروح وُدُّه ومالى سوى روحى تقدَّمت أشترى
لآلهة الرومان أشكوكَ قيصرى ظَلَمْتَ فلم تُنصِفْ ولا أنت تَقْدُر
أتجعلُ فى الميزان حُبِّى وطاعتى وشَتَّى عُروضٍ من ثِيابٍ وجَوْهر ؟
لقد جادلى بالسيف والدِّرع قيصر

[يطعن نفسه بخنجره] :

وجُـدتُ بأيام الحيـاة لقيصر

أنطونيو :

أوروسُ ، عفوًا قد ذهبتَ ضحيةً وجَنَى عليـك تَرَدّدى المقـوتُ
فعلمتَ منى كيف يَجْبُنُ قيصرٌ وعلمتُ منك العبدُ كيف يموتُ

[يطعن أنطونيو نفسه فيخرّ على الأرض جريحا]

[ينتقل المشهد إلى داخل المعبد حيث يدخل أنوبيس إلى حجرته ويناجى أفاعيه]

أنوبيس :

هـلمَّ لكنْ بنـاتِ التـلال وجِنَّ الخـرائب منْ صَالْجَـزْ
تبـدَّلَ من حولكنّ المكانُ وأين القِفـارُ وأينَ الجُحَـر

فعلمت منى كيف يجبن قيصر وعلمت منك العبد كيف يموت

(صفحة ٦٥)

يـدُ العـلم وهى حـديديةٌ ... حَوَتْكنّ من جَنبات الحُفَر
وجاءت بكنّ إلى حُجـرتى ... أُسارَى القوارير رَهنَ الصُّرَر
أرابنىَ النـاس فى أمركنّ ... وصـرتُ حديثَهم والسّـمَر
وقيـل أنو بيسُ حاو تسيلُ ... إليـه الأفاعى إذا ما صَـفَر
وما فِتنتى بحُـلودٍ لكُنّ ... مُرَقَّشَةٍ كإهاب النمِـر
ولا بهيا كلَ مثـلِ العِصِىّ ... من اللحم لا من فروع الشجر
ولا برءوس كَدِقّ الحصـا ... ولا بعيونٍ كوَقْدِ الشّرَر
ولكن أزاولُ علم السـموم ... وعلمُ السـموم جليلُ الخطر
لقد كان لى فى مُعـاناته ... تجاريبُ أنفقتُ فيها العُمُـر
إلى أن نجحتُ ، نعم قد نجحتُ ... وعاقبـة الصـابرين الظَّفَـر
فكم قد شفيتُ بطبى اللّديد ... مَغَ وأيقظتُ من نَزْعِه المحتَضر
فقيـل إلهٌ أعاد الحيـاةَ ... إلى الميّت أوخِذْنُ جِنٍّ سَحَر
صَنعتُ من السـم ترياقَـه ... وقد يختفى النفعُ تحت الضرر
وأنتُنّ والنـاسُ قد تلتقون ... ففيكُنّ شرٌّ وفى النـاس شر

[تدخل حابى خلسة]

أنوبيس [مستمرًا] :

وتقتلُنَ عُمْيَ عيونَ السلاح ... وَيقتلُ قاتِلُهم عن بصر
لِسانُ ابنِ آدمَ أو نابُكُنّ ... كلا السائلَيْن لعابُ القدر

حابى : سلامٌ أبيت

أنوبيس : حابى ؟ ... سلامٌ لكَ يا حابى

حابى : أمشغولٌ أبى اليومَ ... بذات القَرْن والنابِ
وأنطونيوس مهزومٌ ... وأكتافيو على البابِ

أنوبيس [باستخفاف وهو يشير إلى أفعى] :

حابى، تقهقر ناحيهْ ... تلك الخبيثةُ داهيهْ

[يتقهقر حابى قليلا بينما يلهو الكاهن أنوبيس بالحقاق والقوارير]

تلك القواريرُ وذى الحِقاقُ ... غَوْثٌ الى مُستنجِدٍ يُساقُ
* لكلِّ سُمٍّ عندها تِرياق *

أبتى، من للرعيّهْ ... من لأوطانى الشقيهْ ؟
خَلِّ حَيَّاتِك فى الأسـ ... ـفاط واشعُرْ بالرزيّه
بعد حين تملأ الوا ... دى الأفاعى البشريّه
أبتى نحن من اليو ... م عبيدُ القيصريه

أَدْنِ أُذْنَيْكَ على قُـدْ سهما من أُذُنَيْـهْ
واسمع البوقَ تَجِدْ مِن أحرُف الـرقِّ دَوِيَّـه

انوبيس : حابى ، تقبّلْ هذه القِنِّينهْ وآقبِضْ عليها بيدٍ ضنينهْ
فإنهـا ذخـيرةٌ ثمينـهْ !

حابى [لنفسه] :

يا لَلسـمـاءِ لأبى ! تُـراه يَسْـتهزِئُ بى ؟
ويحَ له ، عسـاه جُـ ـنَّ أو لعـله نـبى
أوحتْ له السماءُ علـ ـم غَيْبِهـا المُحَجَّب
يَعـلَمُ من يُلدَغُ من رَقطاءَ أو مِن عقرب
لأحْمِلَنّ حُقَّـه مثـلَ تَميمةِ الصّبى
يا لكَ شـيخًا طيِّبًا يأتى بـكل طيب !

[مخاطبا أنوبيس الكاهن] :

دِيـعَ الحِمَى أبى فكيـ ـف للحِمَى لم تَغضَبِ ؟
دع الأفاعى واشتغِلْ بالأفعُـوان الأجنب
الوطنُ المَـلدوغ أوْ لَى اليـومَ بالمُطَبِّب

أنوبيس : وأين كنت يا فتى وأين فتيان الحمى ؟
وأين فرسانُ المقا ل هل مضَوْا إلى الوغى ؟
أدرتُمُ وجوهكم ساعةَ دارت الرحى
تركتم أنطونيو سَ وحدَه يلقى العدا
من أجلكم سلّ الحُسا مَ وإلى الحرب مشى
ما كان ضرّكم لو الـ ـتففتُمُ على اللّوا ؟
أبعد أن حلّ على الـ ـنيل ووادية القضا
ولم يجدْ من شيبه ولا شبابه فدا
أتيتَ تدعونى كما تدعو العجائز السما
الرأىُ ليس نافعًا إذا أوانُهُ مضى

[يدخل جند من حرس الملكة]

البندى : مولاى، ذاتُ الجلالة
أنوبيس : الملكةُ الآن عندى ؟

[تدخل كليوباتره فى حاشيتها]

كليوباتره : تحيةً يا أبتِ
أنوبيس : سيدتى فى حُجرتى

مُرِى بما شئتِ يكنْ وإن تحدَّى قُدْرتى

كليوباترا :

أبى ، أعلمتَ أن الجيشَ ولَّى وأن بوارجى أبيت المُضيَّا

أنوبيس :

علمتُ وكان ذلك فى حسابى وذا حابى بـه أفضى إليّـا

كليوباترا :

وهل نَبّاك عن أنطونيوس وكيف جرتْ هزيمتُه عليّـا
وما أدرى أأردوْه قتيـلا صباحَ اليوم أوأخذوه حيّا؟
أبى ذهب الحليفُ فكُنْ حليفى فقد أصبحت لا أجدُ الوليّا
أبى خفتُ الحوادثَ

أنوبيس : لا تُراعِى لَباةُ النيـل ليس تخافُ شَيّا

كليوباترا :

أبى لا العزلَ خِفتُ ولا المنايا ولكن أن يَسيروا بى سَبِيّا
أيوطَأ بالمَناسِم تاجُ مصـرٍ وتمّتَ شـمرةٌ فى مَفْرقيّا؟

أنوبيس [باستخفاف] :

لتأتِ المقـاديرُ أو فلْتـذَرْ تعـالىْ كلوبترا ألقى النظرْ

كليوباترا :

أفاعٍ ؟ أبى، نَحِّها، أَخْفِها ؟ أعوذُ بإيزيسَ من كلِّ شرّ
فماذا تريدُ بإحراذهن وهل يقْتنِي عاقلٌ ما يضر ؟

أنوبيس :

أُتيتُ بهنّ لدرس السُّموم ولم أَخْلُ فى علمها من نظر
أداوى بها أو بترياقها مُحبَّ الحياة أو المنتحر

كليوباترا [كأنما تحدث نفسها] :

محبِ الحياة أو المنتحر!

كفى أيها الشيخُ ! بل هات زِدْ فما بىَ خوفٌ ولا بِى خَوَرْ
وإن تَكُ بى خشيةٌ فى النساء فلى جُرْأةُ الملكات الكُبر
تكلّمْ فليست سمومُ الأراقـ ـم فى الحُبِّ دون سُموم البشر
فيارُبَّ صَفْوٍ سَقَيْتُ الرجالَ فلما تَرَوَّوْا سقونى الكدر

أنوبيس :

قِصارٌ وهُنّ سهامُ المَنون وليس يَعيب السهامَ القِصَرْ
يَمَسُّ الفريسةَ مسّ السنان وتمضى مَضاءَ الحسام الذَّكَر
وكلُّ الذى لَمستْ مَقتَلٌ ولو أنشبت نابَها فى ظُفُر
إذا جَرحَتْ لم تَقُمْ عن دمٍ كذلك يجرحُ سهمُ القدر

ومائتُها لا يُحِسُّ المنونَ كمَن مات فى النوم لا يُحتَضر

كليوباترا [مرددة قوله فى صوت حافت] :

ومائتُها لا يُحِسُّ المنون كمن مات فى النوم لا يُحتضر!

ولكن أبى هل يُصانُ الجمال؟

أنو بيوس : نعم لا يَحولُ ولا يَندثر

كليوباترا :

وهل يَطفأُ اللون ؟

أنو بيوس : لا بل يُضيءُ كما رفَّ بعد القِطاف الزَّهر

كليوباترا :

وهل يُبطِلُ الموتُ سِحرَ الجُفون ويُبلِي الفُتورَ ويُفنِي الحَوَرْ

أنو بيوس :

كمهد العيون بطَيْف الكرى إذا الجَفنُ ناء به فانكسر

كليوباترا :

أبى ، والشفاهُ؟

أنو بيوس :

لسواق الذُّبول كما احتُصِر الأُقحُوانُ النَّضِر

وما الموت أقسى عليها فمَا ولا قُبلةً من عوادى الكِبر

كليوباترا :

وما عَضَّةُ الناب ؟

أنوبيس :

وَخزٌ أخفُّ وأهْونُ من وَخزات الإبر

كليوباترا :

وما شَبَحُ الموت ؟

أنوبيس :

ماذا أقولُ ؟

كليوباترا : تُمثِّلُهُ لى كأنْ قد حَضَر

أنوبيس :

زعمتِ ابنتى الموتَ شخصًا يُحَسُّ وعَظَّمتِ من خَطْبه ما صَغُر
وما هو إلَّا انطفاءُ الحياةِ وَعصْفُ الرَدَى بسراج العُمُر
وليس له صُورةٌ فى العيون على قُبْح صُورته فى الفِكَر
إذا جاء كان بَغيضَ الوجوه وإن جِىءَ كان حبيبَ الصُّوَر

كليوباترا :

إذن هذه الرُّقْطُ فى ذمتى فصُنْها وأحسِنْ عليها السهر

وأقسمْ لتَأتِيَ إليّ بهنّ ولو أن دونى الظُّبا والسُّمُر

أنوبيس :

يمينًا بإيزيسَ أحملُهن إليك ولو فى سِلال الخُضَر
إذا بات فى خطر تاجُ مصـ ـر سَبقتُ إليك بهنّ الخطر

كليوباترا :

أتجعلُ لى يا أَبى آيةً أميزُ الرسولَ بها إن حضر؟

أنوبيس :

هو التين أبعثُ حابى به وبالرُّقط بين غُضون الثمر

***

ابنتى ذلك مجرا بى ادخليه للصَّلاهْ
واسكُبى الدمعَ عسى أن يَقبَلَ الدمعَ الإله
هو ذو المُلكِ الذى يبـ ـقى ويفنى ما سواه

[خارج الهيكل — ثلاثة جنود رومانية]

الجندى الأول : تحيا روما يحيا قيصرْ

الجندى الثانى : روما العُظمى أبدا تنتصرْ

الجندى الثالث : ما ذاك؟ مافوق الطريق؟ ماأرى ؟
ميلا رفيقىّ معى لننظرا

الأول : هناك مقتولان ضَرَّجا الثرى

الثانى : نعم أرى ثَمَّ دما وخَنجرا
وهيكلين من حياةٍ أفقرا

الثالث : جُبِتَارُ يا مُصرِّفَ الحروبِ بارِكْ لنا فى هذه الجيوب !
وابعثْ لنا بالذهب المحبوبِ

الأول : ياعَجَبَ الأقدار! أنطونيوسُ؟

الثانى : أنطونيو! أَجَلْ وذا أوروس !
وأحسَب السيدَ مات بيدهْ ثم حذا العبدُ مثالَ سيِّده
لهفى على أنطونيو فى مرقدهْ

[يئن أنطونيو ثم يحرك رأسه ويتبين الجنود]

أنطونيو : ويحى أخىٌّ أنا جريحٌ؟ ما ذا يُريدُ القضاءُ ما ذا
جنودُ اكتاف أدركونى يا ليتنى مِتُّ قبل هذا

جندى : لا بل جنودُك لكن خانوك حُبًّا لروما

آخر : وما تَسُوك عليهم تحت اللواء زعيما

ترمى بهم مَطلعَ الشمـ ـس أو تَـؤُمُّ النجوما

أنطونيو :

يا جنودى وصحـابى ليس ذا وقتَ العتاب
اتركونى وعذابى

[يغمى عليه]

جنـدى :

لَهَفى عليه عاده الإغماء وأوشكتْ تَنزِفُه الدماء
وليس إسعافٌ وليس ماءُ

آخـر :

هَلُمّا احملاه هَلُمّا احملا وجيئا بمولاكما الهيكلا
وأمضِى فأبلِغْ أكتافيوالـ ـحديثَ أعرِّفُه المنزِلا

[فى حجرة الكاهن — كليوباترا والكاهن والحاشية عائدين من المحراب]

كليوباترا :

أبى دخلتُ ونفسـى حَيْرَى والزِّمام حزينـهْ
وقـد تركتُ المُصَـلّى ومِـلءُ قلبى سـكينه
إن الصّلاةَ عـلى شـ ـدّة الزمان مُعينـه

[يسمع صوت الجند من الخارج]

كليوباترا :

ما تسمعون أصيخوا شَـرٌّ وهـذا بَريـدُهْ

كان الضجيجُ بعيدًا والآنَ يدنو بعيدُه

حابى :

أسمعتم ! ضجةٌ صاخبةٌ وجريحٌ وجُنودٌ فى الطريق

هاهمُ قد دخلوا الدار به

أنوبيس : دارُنا الشاطئُ لا يأبَى الغريق

حابى :

ها همُ قد حضروا

أنوبيس : يا مرحبًا أعدُوًّا كان أم كان الصديق

[يدخل الجنديان اللذان يحملان أنطونيوس]

كليوباترا :

ويحَ عينى ماذا ترى؟ ومن المحـ ـمولُ كالسيف فى الأكفِّ خضيبا

أيها الجندُ ما بأيديكمُ اليو م ؟

جندى : جريحٌ على الطريق أصيبا

كليوباترا :

أفتدرون مَن حَمَلتم؟

جندى : حَمَلنا هَيكلا عَزَّ فى الرجال ضريبا

قد عرفناه خيرَ من هزّ رُمحًا ونضا صارما ولاقى الحُروبا

[تتأمل كليوباترا فى وجه الجريح]

كليوباترا :

آه أنطونيو ! حبيبي أدركوني بطبيب
ماترون الأرض ترَوى من دَم الليث الصَّبيب
أبتى ، أين قوى طـ ـبِّك والسحر العجيب
هو فى إغماءة الجُر ح فنبِّهْهُ بطبيب
هو ذا يفتح عينيْ ـه ويُصغى لنحيبي

أنوبيس [محاولا إسعاف الجريح] :

تلك أنفاسُه توالَى وهذا جسمه لايزال غضًّا رطيبا
هو ذا قد تَخَلَّجتْ شفتاه وتهيّا لسانُه ليثوبا
أيها الملكةُ ارفُق بجريح بات تحت الرداء جُرحا صَبيبا
لاتناديه بالدموع مِرارا ربما ضَرَّ جُرحَه أن يُجيبا

أنطونيو :

كيلُبترا ! عَجَبٌ ! أنتِ هنا ! لم تموتى... هم إذنْ قد كَذَبونْ

كليوباترا :

سيدى روحى حياتى قيصرى أنت حيٌّ؟

أنطونيو :

بعد حين لا أكونْ

آه أنطونيو حبيبي أدركوني بطيب

(صفحة ٧٩)

كليوباترا :

من نعانى كذبا ! من قالها لك !

أنطونيو : أُلبوسُ النذلُ الخؤون

مَرَّ فاستوقفتُه أسألُه قال ماتتْ فتجرَّعتُ المَنونْ

* * *

كليوباترا زوّدينى قُبلةً من ثنايالك العذابِ الشّيماتْ

وأضيئى بسَناها مُقلةً يُسْدِلُ الموتُ عليها الظُّلُمات

سيقولُ الناسُ عنى فى غد من أولى الرحمة أوأهل الشّمات:

بَطلٌ لم تَظفَرِ الحربُ به فى الهوى تحت لِواء الحب مات

[يسلم الروح]

كليوباترا :

قد تَداعى يحْسُورُ الأر ض وميزانُ الشعوبِ

مال كالشمس جمالًا وجلالا فى الغروب

أيها المجروحُ لو تد رى جُروحى ونُدوبى

أيها الذاهبُ قد آ ن عن الدنيا ذُهوبى

أيها الخالِصُ وُدًّا ليس إلا وُدّى بالمَشوب

أيها الصادقُ وعدًا ليس وعدى بالكَذوب

عن قـريب يَنطوى القبـ ـرُ علينا عن قـريبـ
كَلَّلـوه بالـرياحيـ ـن وبالغـار الرطيبـ
واهتِـفـوا فى أُذنيْـهِ بأنا شـيد الحـروبـ

* * *

واحبيباه، جاءَه الموت فاستسْـ ـلم لا يستطيع إلّا ذهـوبا
كان ما خِفتُ أن يكون وحلّتْ نَكبة لم تفاجئ المنكـوبا

[تستوى قائمة]

أيها الجندُ مات قيصرُ فابكوا معىَ السيدَ الجَسورَ الوَهوبا
شَبِّكوا ساعديْه من فوق صدر كان فى الرَّوْع بالمنايا رحيبا
واعرِضوا سيفَه على راحتيْه وارْكزوا الرمحَ من يديْه قريبا
لا بل امضوا الشأنكم جُندَ روما ودَعونى وسيفَ روما السّليبا
أنا وحدى له ديارٌ وأهـلٌ إن دعا دارَه ونادى النّسيبا

[ينسحب الجنود]

ويحَ لى قد طلبتُ عند طباع النـ ـاس ما عَزَّ عندهم مطلوبا
خَلَق الناسُ للقَـوىِّ المزايا وتجنَّوْا على الضعيف الذنوبا
واحتفوْا فى الحياة والموت بالغا لب فانظُرْ هل عَظَّموا مغلوبا
شيّعوا الشاةَ جِيفةً بمُـداهم واتّقَوْا وهْو فى الرِّمام الذّيبا

أنوبيس :

الوقارَ الوقارَ يا لَبْأَة النيـ ... ـل ولا تجعلى الزّئيرَ النحيبا
وقِفى للخُطوب فى عِزّة المُلْـ ... ـك وفى كِبْره تُذِلّى الخطوبا

[يدخل جندى من جنود أكتافيوس]

الجندى :

قيصر أكتافيوسُ آتى ... يعودُ أنطونيوسَ قيصرْ

كليوباترا :

قيصر ! فزّ الأسير منه ... مَن فى حمى الموت ليس يُؤسر

[يدخل أكتافيوس ومعه جنود]

أكتافيوس :

سلامٌ مَلْكةَ الوادى ... سلامٌ كاهنَ المُلْكِ
يقولُ الناسُ أنطونيو ... هنا لم يَبتعِدْ عنك

كليوباترا :

نعم لم نَفترقْ بعد ... وإن أمعن فى تركى
وهذا الجسد الفانى ... جَلاءُ الرَّيب والشك

اكتافيوس :

إذن قد قُضِيَ الأمرُ وصار الليثُ للهُلْك
كليوباترةُ لا تَخشَيْ فلن آخذه منك!

كليوباترا :

أبِي تهزأ أم بالمَيْـ ـتِ أم بالموقف الضَّنك
إن استطعتَ على مالـ ـك من بَطش ومن فَتك
وما حَوْلك من خيل وما تحتك من فُلْك
نفُذْه من يد الموت ومن عاجزةٍ تبكي!

[يدنو بحذر من جنود اكتافيوس ليتحقق موت أنطونيوس]

كليوباترا :

مكانك يا عبدُ لا تهتِكنْ على سيد المالكين القِناعْ
تُريد لتكشِفَ عنه الغِطاءَ عسى تحته حيلةٌ أو خداع
عَبَثْتَ به وهو تحت الظِّلالِ مس مُلقَى السلاح قليلَ الدفاع
ولم تَحتشِمْ بُقعًا من دم عليهنّ تَحسُدُ مصرَ البِقاع
رُوَيْدَك، ما الموتُ مُستبعَدٌ ولا هو مستغرَبٌ من شجاع
وإن التماوتَ فعلُ الثعالـ ـب ليس التماوتُ فعلَ السباع

أكتافيو :

أتاتـك سـيدتى إنـه ... فتى طاهرُ القلب حـرُّ الطباع
أراد ليحتـاطَ لى جُهـدَه ... ويُخلصَ فى خدمتى ما استطاع
تَنحَّ أخا الجند ما أنت والمي ... ـتَ! لا يقرَبُ الشمسَ إلا شُعاع!
أتأذَنُ سـيدتى أن أطيـ ... ـفَ بخدن الصِّدام رفيق الصِّراع؟
ومن كنتُ تحت القنـا ظِلَّه ... ومن كان ظِلّى تحت الشِّراع
وكنا نَشيد لروما الفَخارَ ... ونَجْنى لهـا الغارَ من كل قاع
وناتى القِـلاعَ فنحتلهـا ... وإن بعُدَتْ كالنجوم القلاع
ونَركزُ فى السهل أرْماحَ روما ... ونُطلِعُ أعلامَها فى اليَفـاع؟
بإذنـك ؟

كليو باترا :

قيصـرُ لا إذنَ لى ... أينهى ويأمر من لا يطـاع؟
تصرَّف بجُثمانِه كيف شئـ ... ـتَ فليس له اليومَ منك امتناع
وما جُثّـةُ الليث إلا لَـقًى ... إذا الناب طاحت أو الظُّفْرُ ضاع؟

[يتقدم أكتافيوس فيرفع القناع عن وجه أنطونيو]

أكتافيوس :

لقـد حسَم الموتُ ما بيننـا وغَضَّ اللَّجاجَ وفَضّ النـزاع
فمَن حَـقَّ اليـومَ بل واجبٌ على أُقدِّسُـــهُ أن يُضـاع
أُقبِّـــلُ ما قَبَّـل الغـارُ منـ ـكَ وأهتفُ : أنطونيوسُ الوَداع

[ســتار]

الفصـــل الرابع

« فى القصر الملكى ، فى غرفة العـرش ، شرفة مطلة على »
« البحـر . كليوباترا متكئة على حافة الشرفة ، شرميون »
« وهيلانة فى أقصى الحجرة تنهمر من عينيهما الدموع »

كليوباترا [كأنما تناجى نفسها] :

نام « مَرْكُو » ولم أنَمْ ... وتفـــرَّدتُ بالألـــمْ
ليت جُـرْحى بكُرحـــه ... لَـقِيَ المـــوتَ فالتـــأم
قاتـــلَ اللهُ ماضـــياً ... قَتـــل المُفـــرَدَ العَـــلَمَ
أنطوانُ انفُضِ الـكرى ... ساعةً وانقُـــلِ القَـــدم
قُمْ كأمسِ اغـنَمَ الهوى ... واشربِ الراحَ بالنَّغـــم
وتَخَـــيَّرْ عـــلى المُـــنَى ... وتَمَتَّـــعْ من النِّعـــم
واغمـرِ الأرضَ بالقنـا ... وتَقلَّبْ عـــلى الأمـــم
وقُـدِ الخيـلَ فى الـوِها ... د ووثِّبْ إلى القِمَـــم
أيها العين أبصـرى ... إنما كنتِ فى حُـلُم!

[ملتفتة الى شرميون] :

يا شرميـــون بلغنا موْقفًا حَرَجا ... لا الرأىُ ينفعنا فيه ولا الباسُ
لم يَبقَ ثَقبُ رجاء كنت أَلمحُه ... إلَّا تعرَّضَ حتى سـدَّه اليأسُ

[تلقى نظرة على الإسكندرية من الشرفة]

تجمى يُحدّثنى بوشك أفوله إسكندريةُ، هل أقولُ وَداعا ؟
وَشْيْتُ بَرّك جدولًا ونخيلةً وكسوتُ بحرك عُدّةً وشراعا
وأنا اللّباةُ وقد ملأتُك غابةً وأنا المَهاةُ وقد ملأتُك قاعا
قد خفتُ من بعدى عليك مما لكا يُطلِقْن فيك الفاتحين سِباعا
يأتين زرعَك بالرّياح عواصفًا ويَجئنَ ضَرعَك بالذئاب جياعا
فإذا الحضارةُ بعد طول بنائها قد دُكَّ ركنُ بنائها وتداعى

شرميون :

بإيزيسَ سيدتى بالوَلاء بطول التعاشر والمُصطحَبْ
بمالى ببابك من خدمة ومن صُحبةٍ تُشبهان النَّسب
على أى وجه أدَرْتِ المصيرَ وقلّبتِ رأيكِ فى المُنقلب ؟
فهذا السكونُ يُثيرُ الشكوكَ وهذا الهدوءُ يثيرُ الرِّيب
وماذا اعتزمتِ ؟ وماذا كتمت ؟ أبِنِي فما بيننا من حُجُب
ولى فى حياتِك رأىٌ يُساقُ وليس علىّ إذا لم يُصب

كليوباترا :

إذن فاذكرى أن خصمى العتيد يخافُ انتحارى ويخشى الهربْ
وليس الذى يَشتهى لى الحياةَ ولكن له فى حياتى أرَب

له فى غد مَوْكِبُ الفاتحي ... ن إذا أقبلوا فى جلال الغَلَب
يَجُرُّون فى رومةَ الأُرجوانَ ... وقد بَرَزتْ فى الثياب القُشُب
وتزدانُ بالغار هاماتُهم ... إذا ارتفعت فى الخميس النُّجُب
يُحاولُ قيصرُ منى المُحالَ ... ويذهب فى غير وجه الطلب
يُريدُ ليَعرضَنى فى غد ... على شعب روما كأنى سَلَب
ويفضحُ مصر وسلطانَها ... وتاجَ العصور وعرشَ الحقَب
لقدساء تدبيرُ أكتافيوسَ ... ولم يَلقَ من خُدعتى ما أحب!

[تسمع وطء أقدام]

ماذا وراء الباب ؟

شرميون :

حسٌّ قادِم

هيلانة :

أجلْ دبيبُ حارسٍ أو خادِم

كليوباترا :

بل حارسٌ جافٍ ... من حَرَس القصر
مُعربِدُ الخَطْو ... من نشوة النصر
لا تسعُ الأرض ... رِجليهِ من كِبْر

شرميون :

مَلْكتى دعى هـذه الفِكَرْ
جنـدُ رُومـةٍ يَعْبُـدُ البِـدَرْ
فى سـبيلهـا يركَبُ الغَرَرْ

كليوباترا :

شرميون صَـهْ إنـه حضَـرْ

[يدخل حارس]

الملكة : ماذا وراء الجندى ؟

الحارس : رسالة من عبـد

هل تأذنين ؟

الملكة : أدِّ

الحارس : أيها المَلِكَةُ قـد جا ءَ إلى القصر غـلامْ
فى ثياب الحقل حُلوُ الـ ـشكل ممشوق القوام
جادل الحُرَّاسَ فى حِذ ق ورفـق بالكلام
يَـدَّعى أن أباه كان عبـدًا للمَقـام
ناله بستانُ تين من أياديك الجسام

فهْـو يهْـدى لك باكو رتَـبه فى كل عام

الملكة [هامسة] :

شرميونُ ذاك حابى وجَنـاه فى يمينـهْ
جاءَ فى الميقات يُهـدى لىَ باكورةَ تينـه

[للحارس]

ألا تَقْبَـلُ يا حـار س منى هـذه البَدْره ؟

الحارس : بشكران وهيهـات على الشكرانِ لى قُـدْره

الملكة : والآن لو تُحْضِرُ لى الفلاحا لعله يُحدث لى انشراحا
إنى نسيت البَسطَ والمزاحا

الحارس : علىّ السمع والطـاعه سآتيك بـه الساعه

[يخرج الحارس]

الملكة : يا شرميونُ تعلّمى الدنيا ويا هيلانةُ اختبرى الزمانَ القاسى
إن التى حُرستْ بأبطال الوغى باتت تُصانعُ سِفْلَةَ الحراس

[يدخل حابى فى ثياب فلاح ومعه الحارس]

هيلانة [همسا] :

حابى نعم وتلك نظرتْه وهـذه مشيَتُه وخَطرتُه
يا ليت شعرى ما تكون سَلَتُه ؟

حابى : تحيـــةٌ للمَـــلِكهْ ونعمَـــةٌ وبَرَكهْ
ونفسُ عبـــدها لهـــا وكلُّ ما قـد ملكه
ســـيدتى جئت إلى بحـرك أُهـــدى سمكه
أحمِـلُ تينـا ولـو اسـ ـتطعتُ حملت مملكه

حابى : سـيدتى

الملكة : أُدنُ فإنـــه ابتعـدْ وقُلْ فما يسمعُ غيرنا أحدْ

حابى : سـيدتى

الملكة : حابى ، أنوبيسُ اجتَهدْ لنا وأنجز الغـداة ما وعدْ!
يُريدُ أن يَشفيَنى مما أجد وأن يَقى مملكتى عارَ الأبد
جئتَ كما يأتى لوقتـه المَـدد
وَفَيْتَ لى حابى ولم تكنْ تَـفى ضعِ السِّلالَ وانصرفْ لا بل قف
حتى ترى كيف يكونُ مَوقِفى

[تلقى نظرة على السلال]

ما لى مُلئتُ من المنيَّـة رهبـةً إن المنيـةَ فى رقاب النـاس
آسى الجراح جَزعتُ عند لقائه والنفسُ تجـزَعُ من لقاء الآسى

إنى طويتُ بساطَ كل مُدامة لم يبقَ إلا شربُ هذى الكاس
يا خادمىّ بل ابنتىّ تلطّفا فى البحث حتى تأتيا بأياس
فعسى يُغنّينى نشيدَ الموت أو نغما أجود عليه بالأنفاس

شرميون :

مَلَكتى نادى أياسا إنه بالقُرب منكِ
هو فى المقصورة الأخـ ـرى مع الباكين يبكى
فكُره فيكِ ولا يَجـ ـسُر أن يَسألَ عنك

الملكة :

ياوَيحَ صَحبى بَعد طول سرورهم قعدوا إلى أحزانهم يبكونا
جيئى بهم يا شرميونُ لينظروا جَلَدى فيهدأ بعضُ ما يَجدونا

[تخرج شرميون]

كليوباترا [تتغنى على زنبقة فى أصيص] :

زَنبقةٌ فى الآنيهْ ضحيةُ الأنانيهْ
جَنَتْ عليها غُربةَ الـ ـأسر الأكُفُّ الجانيهْ
وبُدِّلتْ من سَعة الـ ـبُرّ بُوَة ضيقَ الباطيه
يَسقونها من جَرّة بعد العيون الجاريه

يا جارتا شأنك لا يُشْبِهُ إلا شانيه
لم يبق من مُلكى العريـ ـض غيرُ دار خاويه
وكلُّنا ذابلةٌ عما قليل ذاويه
زال النعيم وفرغـ ـنا من حياة فانيه

[ترجع شرميون ومعها أياس وأنشو وغيرهم]

الملكة [الى أنشو]:

أنشو يَعِزُّ عليّ أنك ساهمٌ يبدو عليك الهمُّ والتفكيرُ
أنشو ألا قولٌ يَسُرُّ وضحكةٌ إن السعيدَ الضاحكُ المسرورُ
قد كان أيسرُ ما صنعت يسرنى أعلَى سرورى اليوم أنت قديرُ؟

أنشو : سيدتى جرى بما فيه سرورُك القدرْ
من لا تسرُّه السما ءُ لا يسره البشرْ

الملكة : أياسُ، هل من صوتِ؟ غَن نشيدَ الموت

[أياس يغنى هذا النشيد]

يا طيبَ وادى العدَمْ من منزل من منزل
لم تَمش فيه قدمْ للعُزَّلِ وادٍ خَلِ
أنا فيه لحبيبي وحبيبي فيه لى

BIBLIOTECA ALEXANDRINA
مكتبة الاسكندرية

***

يا موتُ مِلْ بالشِّراعْ ... واحمِلْ جَريحَ الحياهْ
سِرْ بالقلوع السِّراع ... إلى شُطوط النجاه

***

شِراعُك الفِضِّى ... فى لُجِّه التِّبرى
كالحُلْمِ فى الغَمِض ... يجرى ولا يجرى

***

فى ظل ليل ساجْ ... أقسم لا يَسرى
مُغلَّلِ الديباجْ ... مُطيَّبِ السِّترِ

***

فى يقظةٍ يَظهرْ ... لى أم أرى حُلْمَا
فُلْك من الجوهر ... يَخترِقُ الظَّلما

***

على الدجى لَمَّاح ... تَحسَبُهُ نجما
ليس به ملّاح ... يسلُكه اليمّا

***

أضْوَى من الفجر ... فى ظُلمة الأصداف
من نفسه يجرى ... لم يُجْرِه بِجداف

***

مَدّ شِراعَ النورْ يا حُسنَ ما مدّا
كاللؤلؤ المنثور لو يَنفَحُ النَّدّا

***

يا لكَ من زورقْ مَلّاحُه الأقدارْ
ينجو به المُغرَقْ من لُجّةِ الأكدار

[يدخل الحارس]

الملكة : ما وراء الحارس؟

الحارس : الطا عة يا ذاتَ الجلالهْ
قائد يحِلُّ من قيـ ـصرَ أكتافو رسالهْ

الملكة : أدخله ، أدخلْ رسولَ قيصرْ

[يخرج الحارس و يدخل القائد]

القائد : قيصرُ العالى إلى سـ ـيدتى يُهدى التحيهْ
هو فى الثُّكنة بالقر ب من الدار السنيه
يُظهِرُ العَطفَ عليها وهى بالعَطف حَرِيّه
و يقولُ الأمرُ ما تأ مُرُ فى الاسكندريه
ولها الوادى وما يحـ ـمِلُ مُلكا ورعيّه

وبنوها يَرِثُونَ الـ ... ـمُلكَ من روما الوصيه
وإذا حَلَّتْ بروما ... وجدت روما حَفيّه
تتلقّاها كأغلى ... درة فى القيصريه
ما الذى تَقْتَرِحُ المْلـ ... ـكةُ ما تُمْلِى عَلَيّه
لِتقُلْ سيدتى حا ... جتَها تُقْضَ العشيّه

كليوباترا [كأنما تناجى نفسها] :

وإذا حلت بروما ... وجدت روما حفيه !
تتلقاها كأغلى ... درة فى القيصريه !

[تضحك فى تهكم وألم]

أيها القائدُ أدّيْـ ... ـتَ فأحسنتَ الأداءْ
بَلِّغَنْ قيصرعنى ... كلَّ شكر ودُعاء
ثم زِدْ أمنيةً قد ... بَقِيَتْ لى ورجاء
أنا لا أكتُمُه ما ... سَرَّ من أمرى وساء
لِىَ سِرٌّ كاد عن نفـ ... ـسىَ يَزْوِيه الخفاء
صُنته عن صاحباتى ... وصحابى الأمناء

حبذا لو زارنى قيـ ـصرُ فى هـذا المساء
وله الشكرُ إذا لم يأتِ أو إن هـو جاء

القائد :

سأذكرُ مولاتى لمولاىَ قيصرٍ وأنقُلُ ما أبديتِ من رَغَبَات
ولِمْ لا يُلبِّى دعوةَ الحسن طائعًا ويسعى له مُستعجِلَ الخطوات؟
وقد كان يوليوسٌ يقومُ ببابه ويَمْثُلُ أنطونيوسُ فى العتَبَات!

كليوباترا [بعظمة] :

أساتَ أخا الرومان فهم إشارتى

القائد :

إذن فَهِيَ لى تلك من هفَواتى

[يخرج القائد]

كليوباترا :

أرانىَ لم يُحسِنْ إلىّ مُعاصرى ولم أَجِدِ الإنصافَ عند لِداتى
فكيف إذا ماغيبَ الموتُ ذَادتى وبَدَّد أنصارى وفَضَّ حُماتى!
كأنىَ بعدى بالأحاديث سُلِّطت على سيرتى أو وُكِّلتْ بحيـاتى
وبالجيل بعد الجيل يَروى زخارفًا فمن زور أخبـار وإفك رُواة
يقولون أُنثى أفنت العمرَ بالهوى بهيميّـة اللـذات والشهوات

فِـدًا لغرامى بالرجال وحُسنِهم غرامُ الغوانى أو هوى الملِكات
فليس الغلامُ البارعُ الحسنِ فتنتى ولا الرائعُ الأجلاد والعضَلات
ولم يَستَثِرْ وَجدى من الروم فتيةٌ جُنون العـذارى فتنةُ الخفِرات
ولا كلُّ غصن من بنى مصرَ مائلٍ يَطـيرُ إليـه قلبُ كل فتـاة
يموتون بى عشقًا و يَشقون بالهوى فكم من حياة فى يدى ومـمات
ولكن عشقتُ العبقريَّةَ طِفـلةً وفى الغافلات البُلْهِ من سنواتى
كلفتُ بكهل أحرز الأرضَ سيفُه وحيزتْ له الدنيا من الجنَبات
إذا هب من غرب البلاد تَلفّتتْ بلادٌ بأقصى الشرق منذعرات
تَعـثَّرَ حظى بعـد طول سلامة وأقلع نجمى بعـد طول ثبـات
ومن يَمش فى وَرد الأمور وشَوْكها يَعُـدَّ الخُطا أو يحسِبِ العثرات

[تنظر إلى السلال]

يا مرحبـا بالسَّـلّهْ والـرُّقُبِ المُطِـلّهْ
الكافيـاتى الـسِّلّهْ

[ينسحب الجميع معلقين ما عدا الملكة ووصيفتها وحابى]

كليو باترا :

أدخلى بى يا شرميون على طِفْـ ـلىَ أُودِّعْهُمُ الـوَداع الرهيبـا

فعساهم إذا تحجّب صدرى وجدوا صدرَك الحَفِيَّ الرحيبا

[لحابى رهيلانة] :

ولدىَّ أهجروا القصورَ فإنى قد وجدتُ النعيمَ فيها غريبا
ولها ضجةٌ وفيها فُضولٌ يُرهِقُ الحبّ واشيا ورقيبا
خلّيا عنكما المدائنَ يا بخـ ـت فضوضاؤها تُميت القلوبا
إن لى فى سهول طيبةَ حقلًا طيبَ الماء والهواء خصيبا
غَرستْه يد الشباب فأضحى وارفا كالشباب حُسنًا وطيبا
ألّفَ الحبُّ من نواحيه أيْكا جمع الطيرَ هاتفا ومُجيبا
يُسمِعُ البُلْبُلُ العشيقةَ فيه وتُغنّى الأليفةُ العَنْدليبا
أفُقٌ لا يُظِلُّ إلا مُحبًّا وثرى لا يُقِلُّ إلا حبيبا
إشربا من كرومه واسقياها صافىَ الحب والهوى المسكوبا
والعبا عند كلّ ماء غدير تريا الماءِ للحَبابِ لعيبا
وسلا الوردَ هل تَنَفّسَ فى الور د وهل ناسم البعيدُ القريبا
أدرِكا لذةَ الشروق ولمّا تبلغ الشمسُ بالحياة الغروبا

[تخرج كليوباترا وشرميون]

حابى :

هيلانُ، هذا مقالُ النصح من مَلَكٍ ... فما تَرَيْن وما تَنْوين هيلانا
هلُمّ طِيبةَ نـنزلْ فى خمائلها ... ونَبْنِ مِثـلَ بنـاء الطـير دُنيانا
كطائرَيْن على بحـرٍ وعاصـفةٍ ... قد آنسا من وراء الشَّط بستانا
تداركتْنا أبـرُّ المـالكات بهِ ... وأشرفُ الناس إحساسًا ووِجدانا

هيلانة :

حابى، عرفتَ الحلال الطيّبات لها ... وكنتَ أمس أقلَّ الناس عِرفانا

حابى :

خلِّى الجفـاءَ حياتى إن سـاعتَه ... مضتْ وهذا أوانُ السِّلم قد آنا
اللهُ يشهدُ أنى قد سـدلتُ على ... ما كان من نَزَعات الرأى نسيانا
وأننى اليوم أبكـيها وأندُبها ... ولا أقيسُ بها فى الطهر إنسانا
اليوم ضحّتْ وزكّاها الفـداءُ كما ... زكّى المُقـرِّبُ باسم الله قُربانا

هيلانة :

إن التى شب فى نَعمائها صِغَرى ... ونبّهتْ لى سُـلطانها شـانا
إن لم أمُتْ دونها أو لم أمت معها ... فما جَزَيْتُ عن الإحسان إحسانا

حابى :

والحبُّ هيلانَ؟ ماذا تصنعين به

هيلانة : إن الصداقة فوق الحب أحيانا

حابى أراها أزمعتْ وأرى الفجيعةَ واقعهْ
فاذهبْ بِفِغْ بأنوبس فعسى يسردُّ الفاجعه

حابى : وسواءٌ أردَّها أم أبى ذلك القدر
فى غدٍ أيها المَلا لكُ الى طيبةَ السفر

[يخرج حابى]

هيلانة : ويح حابى اعتقادُهُ أن سأحيا فنلتقى
ليتنى نِلْتُ قُبلةً منه قبل التفرُّق

[تدخل كليوباترا وفى أثرها شرميون]

كليوباترا :

بروحى وإن لم تبْقَ منى بقيَّةٌ صغارٌ ورائى ذُوِّقُ اليُتْمَ نُوَّحُ
أذوبُ لبلواهم وأعلمُ أننى حَمَلتُ عليهم ما يَجِلُّ ويَفدَح
وقد أشتهى عيشَ الذليل لأجلهم فلا المجدُ يَرضى لى ولا النُبلُ يَسمَح
فصفحًا صغارى إن شَقيتُم بمصرعى وإنى لأرجو أن تَغضّوا وتصفحوا

وَداعا صغارى صَيَّرَ اللهُ يُمْنَكم ... إلى خير مايَكفى اليتامى ويُصلِح
أطفتُ بكم والنومُ تَسرِى سِناتُه ... على صفَحات كالأهِلَّة تَلمَح
وما منكمُ فى الخَزِّ إلّا حمامةَ ... عليها طليلٌ ناعمَ الفَرْعِ أفيَح
تنامُ وما تدرى الكرى ما وراءَه ... ولا الصبحُ فى ظلِّ الرُّبا كيف يُصبح
أتغدوا على الدنيا كأمسِ طليقةً ... ضُحى اليوم أم يُغدَى عليها فتُذبَح؟

[ملتفتة إلى هيلانة وشرميون] :

فيم هيلانةُ تبكيـ ... ـن وأنت شرميون
كفكفا الدمعَ فلا شدّ ... ة إلّا وتهون
واعلما بنتىَّ أن الـ ... ـبؤسَ والنعمى دُيون

[تركع أمام تمثال إيريس]

اليومَ أقصرَ باطلى وضلالى ... وخلتْ كأحلام الكرى آمالى
وصحوتُ من لَعِب الحياة ولهوها ... فوجدتُ للدنيا نُمارَ زوال
وتلفّتتْ عينى فلا بمواكبى ... بصُرتْ ولا بكتائبى ورجالى
وطِئتْ بساطى الحادثاتُ وأهرقتْ ... كأسى وفضّتْ سامرى ونِقالى
إزيسُ ينبوع الحنان تعطّفى ... وتلفّتى لضراعتى وسؤالى
أنت التى بكت الأحبّةَ واشتكت ... قبل الأرامل لوْعةَ الإرمال
إنى وقعتُ على رحابِك فارحمى ... ذلَّ المُلوك لمجدك المُتعالى

هل تأذنين بأن أُعجِّل نُقْلتى ... وأَحُثَّ عن دار الشقاء رِحالى
وعُلالةَ ما أدعُ الياةَ جبانةً ... أو ضِيقَ ذَرْعٍ أو قطيعةَ قالى
إنى انتفعْتُ بعبقرىٍّ جمالها ... وتمتعتْ من عبقرىٍّ جمالى
وجمعتُ بين شعورها وعواطفى ... وقَرَنتُ رَحْبَ خيالها بخيالى
ووجدتُها قد خلّدتْ أبطالَها ... فبسطتُ سلطانى على الأبطال
بنتُ الحياة أنا وتَشهَدُ سيرتى ... ما كنتُ من أمى سوى تِمثال
منها تناولتُ الرِّياءَ وِراثةً ... وأخذتُ كلَّ خديعة ومحال
وقسوتُ قسوتَها ولِنتُ كلِينها ... واقتستُ فى صَدَى بها ووِصالى
ولربما رَشَدتْ فسِرتُ بُرشدها ... وغَوَتْ فأغوتْنى وضل ضلالى
ووجدتُها حبًّا يَفيضُ ولذةً ... بفعلتُ لَذّاتِ الهوى أشغالى
يومى بأيامٍ لكثرة ما مشت ... فيه الحياة وليلتى بليالى
ولقد لَقيت من الحياة صَبيّةً ... ما جل من بؤس ورقة حال
نخلعتُ مُلكى طفلةً وشَردتُ فى ... صدر الصبا ورأى المكارهَ آلى
شرعتْ علىّ السوْطَ فى كُتّابها ... واليومَ تَضربُنى بدرس غالى
ياموتُ هل حَرَجٌ على مُستنجِد ... بك أن يُسابقَ واقعَ الآجال ؟

يـومى أعجّـلهُ ولـو لم أنتحـرْ ... للقيتُ يومًا ماله من تالى
ياموتُ أنت أحبُّ أسرًا فاسبِنى ... لا تُعطِ روما والشيوخ عِقالى
ياموتُ لا تُطفِئْ بشاشة هيكلى ... واحفظْ ظواهرَ لحتى وجلالى
ياموتُ طُفْ بالروح واسرقْها كما ... سرق الكرى عينَ الخلىّ السالى
حتى أموتَ كما حَييتُ كأننى ... بيتُ الخيـال ودُميـةُ المَثّـال
وكأن إغماضَ الجفون تناعسٌ ... وكأن رقدتىَ اضطجاعُ دلال
سِرْبى الى أنطونيو فى نَصرتى ... ورُواء جلبابى وزينـة حالى

[تقوم الى إحدى السلال وتكشف التين عن أفعى] :

هَلُمّى الآنَ مُنقِذتى هَلمّى ... وأهلا بالخلاص وقد سعى لى
شَرِبتُ السمّ من فيكِ المُفدّى ... بسلطانى وزِدتُ عليـه مالى
على نابيْـك من زُرق المنـايا ... شفاءُ النفس من سُـودِ الليالى
وبعضُ السـم تِرْياقٌ لِبعض ... وقد يَشفى العُضَالُ من العُضال
دعوْتُ الراحةَ الكبرى فلبتْ ... فبُعـدًا للحيـاة وللنِّضَـال
هَلُمّى عانق أفـعى قصـور ... بهـا شـوقٌ الى أفعى التـلال
سَطتْ روما على مُلكى ولَصّتْ ... جـواهرَ أسـرتى وحُلِىّ آلى

فرُمتُ الموتَ لم أَجبُنْ ولكن ... لعـل جلالَه يَحـمى جـلالى
فـلا تَمشى عـلى تاجى ولكن ... على جسدٍ ببطن الأرض بالى
وقـد علم البريّةُ أن تاجى ... تَمتّـه الشمسُ والأسرُ العوالى
يُطالبُـنى به وطنٌ عزيزٌ ... وآباءٌ ودائعُهـم غـوالى
أأدخلُ فى ثيـاب الذل روما ... وأُعرَضُ كالسّبىِّ على الرجال؟
وأُحدَج بالشماتة عن يمينى ... ويَعـرِض لى التهكّمُ عن شمالى؟
وألقَى فى النّـدىِّ شيوخَ روما ... مكانُ التـاج من فَـرْقَىَّ خالى؟
وأغشى السجن تاركةً ورائى ... قصورَ العزّ والغُـرَفَ الحوالى؟
وتَحكُمُ فىّ روما وهى خَصمى ... وتُسرفُ فى العقـوبة والنّكال؟
يَـرانى فى الحبـائل مُترَفـوها ... وقد كان القيـاصرُ فى حِبـالى
إذن غيرُ المـلوك أبى وجَدّى ... وغَـيرُ طـرازهم عَمّى وخالى!
سأنزلُ غـيرَ هائبـةٍ إذا ما ... تلمّـظت المنيّـةُ للـنزال
أموتُ كما حَيِيتُ لعرش مصر ... وأبـذُلُ دُونه عرشَ الجمـال
حيـاةُ الذلّ تُدفَعُ بالمنـايا ... تَعـالىْ حَيّـةَ الوادى تعـالى

[تتناول الأفعى وتمهد لها من صدرها فتلدغها ثم ترميها الى السلة]

يا ابنتَىْ وُدّى ... هَلُمّا ... زيِّنانِى ... ... للنيـــهْ
غلّانى ... طَيِّبانى ... بالأفاويهِ ... الزكيه
ألبِسانى حُـــلّةً ... تُعْـ ـجِبُ أنطونيو ... سنيه
من ثيابٍ ... كنتُ فيها أتلقـاه ... ... صـــبيه
ناولانى التـاج ... تاجَ الـ ـشمس ... فى مُلْك ... البريه
وانثرا ... بين ... يدىْ ... عر شى ... الريا ... حين البهيه

[تموت بين وصيفتيها]

شرميون [تتناول من إحدى السلال أمعى] :

كليوبترا و يالهـفى عليـــك يا كلـوبترا
وَصيفاتُك فى الدنيـا وَصيفاتُك فى الأخرى

[وتمهد لها من صدرها فتلدغها وتموت]

هيلانة [تفعل ما فعلته شرميون] :

كليوبترا ذهبتِ اليو مَ بالدنيـا كلـوبترا
تعـالىْ أيهـا الأفعَى أريحيـنى أنا الأخرى

[يدخل أنوبيس وحابى]

أنوبيس :

انسلتِ المُهرَة من قَيْدها وأفلت الطيرُ من الصائد!

حابى :

هيلانَ ، يالهفا على الحبيبهْ على الجمـال وعلى الشبيبهْ
على الفتاة الحُرّة النجيبهْ

[يتحسس جسمها]

يا للحيـاةِ ماتنى دبيبـا أبى ، تأمّلْ جسمَها الرطيبا
واسمعْ تجِدْ لقلبها وجيبا

أنو بيس :

حابى نسيتَ حُقّـةَ النجاة !

حابى : هيهاتِ أعصيك أبى هيهاتِ
إن أنسَ أشياءَك أنسَ ذاتى !

[يخرج الحقة من جيبه]

خُـــذْها :

أنو بيس :

بل اسكبْ فى فم الفتاةِ لعلها تصحو من السُّباتِ

[يشتغل حابى بإيقاظ هيلانة]

أنو بيس [على جثة كليو باترا] :

بنتى رجوتُك للضحية والفِـدا فوجدتُ عندك فوقَ ما أنا راجى

بنتى رجوتك للضحية والفـدا فوجدت عندك فوق ما أنا راجى

(صفحة ١٠٨)

إن تُصبحى جسدًا فنفسُك حرةٌ وعُلاك سالمةٌ وعِرضُك ناجى
سيقولُ بعدك كلُّ جيلٍ مُنصف ذهبتْ ولكن فى سبيل التاج

[ثم يلتفت إلى جثة شرميون] :

وأنتِ أيضًا شرميونُ جِيفهْ مُتِّ ولكنْ ميتةً شريفهْ

ما أعظمَ المَلْكةَ والوصيفهْ !

حابى : أدنُ أبى ألقِ النظرْ يا لَعجائبِ القدرْ !

أنوبيس : أحدث ترياق الأثرْ؟

حابى : أنظرْ أبى ترياقَك الـ ـمحسن ماذا منحا ؟
أنظرْ فهذا مَلَكى من رقدةِ الموتِ صحا
قد فتح العينين بعـ ـد اليأس من أن تُفتَحا
وهذه أنفاسُه رَيْحانُها قد نَفَحا
مولاى قد قَرَّبتَ من سعادتى ما نَزحا
أنت الذى رَددتَها رُوحًا وكانت شَبَحا
يا قلبُ كيف لم تَطِرْ عن الضلوع فرحا

هيلانة : يا ويح لى ! ويحَ إليهْ هل صَدَقتْنى عَينِيهْ ؟
حابى، أفى الدنيا أنا؟

حابى : بل أنت دنياى هنا

هيلانة : منـذا حـنى عليّـهْ حـــتى بُعثتُ حَيّـــهْ ؟

حابى : أبى الذى شفاك يا مَلاكى .

أنوبيس : لا بل مَلاكُ الحب قد شفاكِ
وأدمُعُ الإخلاص من فتاكِ

هيلانة : أبى لقد مَرّ على الموتُ وكنتُ من عذابه نَجَـوْتُ
علامَ حُلْتَ بينه و بينى؟ المـوتُ لا يُـذاقُ مَرّتـيْنِ

[ترى جثة الملكة وهى تتلفت]

رحماكِ آلهـةَ الوادى ذهلتُ فـلم أذكرْ مَلاكاوراء العرش مُضطجعا
بالأمس، لا،لا بل اليومَ التحقتُ به صُرعتُ بالناقع السارى كما صُرِعا
لقـد رَحلنا عن الدنيا الغرور معا مالى رَجَعتُ إلى الدنيا وما رَجَعا
ليت الطبيبَ الذى داوَى فأخرجنى إلى الحيـاة على الدنيـا به طَلَعا
مليكتى ، ربّتى ، صفحًا ومغفرةً إن المروءةَ كانت أن نموت معـا

الكاهن : بُنيّتى ...

هيلانة : صَـهْ أبى ،

الكاهن : لا أنتِ واهمةٌ
فلستُما فى مُلاقاة الرّدَى شَـرَعا

وقفتُما موقفًا فى الخَطْب مختلفًا لو جَرّبتْ فيه غيرَ الموت ما نفعا

حابى : تعالىْ نَحْىَ فى الحَقْلِ مع الطير كما تحيا ؛
هَلُمّى الحبَّ هيلانـ ـةُ فالحبُّ هو الدنيا
أبى دونك بارِكْنا وإن شئتَ فشاركْنا

أنوبيس : إذا فارقتُ محرابى فمن يبكى على مصرا ؟
سأبقى هاهنا ابْنَىَّ إلى أن أقضىَ العُمر
هَلُمّا ابنىَّ باسم اللّـ ـه سيرا وابنيا الوكْرا
هلما جنةَ الوادى هلما طيبةَ الغَزّا
لئن فرّقنا الدهرُ فقد تجمعُنا الذكرى

[يخرجان]

[يسمع صوت بوق] :

أنوبيس : البوق دَوّى قيصرُ أقبلْ

[يدخل حارس]

الحارس : مولاى قيصر

[يتنحى عن الباب و يدخل قيصر وفى معيته الطبيب أولباوس]

أنوبيس :

ما يبتغى قيصرُ من أسيرتهْ ؟ إن التى أعدّها لزينتهْ

يَدخل روما وهى فى كتيبتهْ تَزيـدُ فى مَوكبـه وقيمتـهْ
ماتتْ ولم تـنزلْ على مشيئتهْ بُورك فى النيـل وفى عَقيلتهْ

قيصر :

آلهـةَ الرومان ! ماذا أرى؟ إمرأةٌ تَسـخَرُ من قائـدِ
قد أبطلَتْ كيْدى على ضعفها ولم تزلْ تَسـخَرُ بالكائـد
فى الجسـد الحـىّ تمنّيتُهـا لم أبغها فى الجسـد البـائد

[يركع قيصر عند جثة كليوباترا]

أنوبيس [لنفسه] :

الحـادثُ العجيبُ قيصـرُ والطبيبُ!
يَغـدُرُها وعهـدُه ببـابهـا قـريبُ

أكتافيو :

عجيبٌ يا طبيبُ أرى قتيلًا ولكن لا أرى أثَرَ الجـراح!
أليستْ فى الفنَاء أرقّ لونًا وأندَى من رياحين الصباح
فهل تدنو فتكشف كيف ماتتْ أبا السم الزُّعاف أم السلاح؟

[يقترب أولبوس ويخفى على سـدر الملكة من الناحية التى رميت فيها الأفعى]

عجيب ياطبيب أرى قتيلا ولكن لا أرى أثر الجراح !؟

(صفحة ١١٣)

المبوس :

جبين مُشرقُ الغُـرّهْ ووجـهٌ ضاحكٌ نَضرَهْ
وعينـان كأن المـو ت فى جَفنَيْهما سَكْرَهْ
وهـذا فمُهـا تبـدو الـ ـمنايا عنـه مُفـتَرّه
ولكن قيصرُ ادنُ آنظرْ هنا السرُّ هنـا العبره
فبين السِّحر والنحـر كمثل الخَدش من إبره
مكانُ الناب من صِلِّ شديد البأس والشِّرّه

[تلدغه الأفعى]

إلهـى، قيصـرى، آه لقد مَسّتْ يدى جَمرَهْ
سـرى السمُّ بأعضائى وعَمّتْ جسـدى فَتْـ
وجاءت سَكْرَةُ المـوت ـرة

اكتافيوس :

ويل ا
وويحَ ا. .

أوبيس [لنفسه] :

قـد وقـع الخاف

قيصر :

وَداعًا كليوبَترا الى يـوم نلتـقى ... وتَنفُضُ عنها الهامدينَ المَقـابرُ
محا الموتُ أسبابَ العداوة بيننا ... فلا الثأرُ ملْحاحٌ ولا الحقـدُ ثائر
وما استحدثَتْ عند الكرام شَماتةٌ ... صُروف المنايا والحُدودُ العواثر
وَداعا و إن نحن اقتتلنا وجَرَّدتْ ... حُساميْهما أوطانُنا والعَشـائر
تَحدّيتنى بالمـوت حتى قهرتنى ... ومالىَ سلطانٌ على الموت قاهر
ترفَّعت عن قَيْدى ومُتّ عزيزةً ... وأيـدى المنـايا للقيود كواسر
وأنت التى نازعت روما مكانَها ... وجَرَّتْ بناديك القيودَ القياصر
لعبتِ بأنطونيو و يوليوسَ حقْبةً ... كما جاء بالمسحور أو راح ساحر
وما أنا إلّا سـيفُ رومةَ باترًا ... أصيبَ به سـيفُ لرومـةَ باتر
زَجرتُ فلم أُسمَعْ فقاتلتُ مُكرَهًا ... وفى الحرب إن لم تَردَعِ السِّلمُ زاجر
وأنطونيو صهرى الكريم بمثـله ... يُطاولُ أنسابَ الملوك المُصاهر
وَداعًا عروسَ الشرق كلُّ وِلاية ... و إن هَزَّتِ الدنيا لها الموتُ آخر

[يخرج أكتافيوس وحاشيته وتزف التحايا له من الأبواق والمتاجر خارج القصر]

أنوبيس :

أكثرى أيها الذئاب عُواءً ... واذعى فى البلاد عِزًّا وقهرا
أنشدى واهتفى وغنّى وضجّى ... واسبحى فى الدماء نابا وظُفرا
لا وإيزيسَ ما تملّكتِ إلا ... وادياً من ضَياغم الغاب قَفرا
قَسَماً ما فتحتُمُ مصر لكن ... قد فتحتُم بها لرومةَ قبرا

« ستار الختام »

نظـــرات تحليلية

كليوباترا والتاريخ :

فى عصر من عصور التطور السياسى الدائم على عرش مصر، وفى النصف الأخير من القرن الأول قبل الميلاد، احتكت عظما الامبراطورية الرومانية بالسياسة المصرية القديمة، وطوت فى هذ الاحتكاك آخر صفحة من تلك المدنية الزاهرة التى اصطبغت به مصر فى ظل البطالسة وتحت حكمهم أكثر من ثلاثة قرون .

وجاء دور المؤرخ ليسجل أنباء هذا الاحتكاك فكان من حظ العلم :

(أولا) أن استقى هذا التاريخ مادته من مصدرين كانا كل وسائل التاريخ القديم . فالمصدر الأول آثار يعرض لها عادة فى مثل هذه العواصف السياسية المضطربة غير قليل من التزييف والضياع . والمصدر الثانى رواة يجتهدون فى رواية الحوادث اجتهادا، فيخطئهم التوفيق أحيانا، فيروونها لا كما كانت ولكن كما اشتهوا أن تكون .

(ثانيا) أن نهضت بهذه المهمة الخطيرة أقلام، إما رومانية وإما مدينة لروما هوى أو ثقافة ، فسجلت هذه الأقلام تاريخ هذا الانتقال السياسى فى أسلوب قصصى ، فاز فيه قياصرة

الرومان بأكاليل الغار كلها ، فالظافر من بينهم بطل ، والمخذول منهم ضحية ، وللضعيف على كل ما فعل أو أسف عال قوية من هوى هذه الأقلام فى حين أن الملكة المصرية المظلومة — كليوباترا — الممثلة الأخيرة لمجد البطالسة وسلالتهم ، والتى سوّى على حساب سمعتها وكرامتها وأفول نجمها هـذا الحساب الخطير، لم تصب منه إلا ركاما من التبعات والآثام واللعنات .

ظهرت حية النيل العجوز — كما نعتوها — فى هذا التاريخ، وعمـدته « بلوتارخوس » ، وفى معظم الروايات التى استوحته واستقت من معينه ، فى مظهـر امرأة خطالة متهمة فى عفتها من حيث هى امرأة ، وفى جلالها و إخلاصها لبـلادها من حيث هى ملكة ، مجرد ...

« ... أنثى أفنت العمر بالهوى بهيمية اللذات والشهوات »

خاضعة فى كل أدوار حياتها السياسية لشهوة مذبذبة ، تذفع بها رخيصة الى كل صاحب مجد أو جاه ، متصلة — ما اتصلت فى هواها — ببطل ، منفصلة — ما انفصلت — عن « حطام مبعثر مستباح » ، دائبة البحث عن فريسة جديدة تستل آمالها ، وتسلبها جلالها ، وتهيض من جناحها المحلق فى سماء المجد والخلود. وعجيب أن تقفر حياة كهذه الحياة الحافلة بالمآسى إلا من هـذا

الركن الدنس، وعجيب ألا يرى أولئك القصاص فى هذه النفس الطموح ظلا لأمل خير أو حلم نبيل، وعجيب أن تجثم فى كل ناحية من نواحيها رذيلة تهب المداد لهذه الأقلام !

مرمى الرواية :

أليس المؤلف المصرى إزاء هـذا الاضطهاد الصارخ لهـذه الملكة المصرية، بحكم الثلاثة القرون التى قضاها أجدادها العظماء على ضفاف النيل، مستقلين عن كل نفوذ أجنبى، أبرياء إلا من العمل المتصل لمجد مصر ورفاهتها، مستحيلة دماؤهم قطرة فقطرة الى دماء مصرية خالصة على توالى الأيام . أليس المؤلف المصرى فى حل — مادام البحث العلمى يكشف بين الحين والحين فى هذا التاريخ المتهـم عن حلقات ضائعـة أو أوهـام أنزلت فيـه منزل الحقائق — من إنصاف هذه المصرية المضطهدة، ولو إلى الحد الذى يتفق مع هيكل هذا التاريخ المجرد ، ولا يحرمها على الأقل من سمو الغاية ونبالة المقصد ؟

أعتقد أنه ليس فى حل من هذا الإنصاف فقط، ولكنه مسئول عنه الى أن يصل البحث الحديث فى تقرير حقيقة التاريخ القديم الى آخر مداه فيعز من يشاء ويذل من يشاء .

على هـذا الأساس يضع مؤلفنا المصرى اليـوم فى "مصرع كليوباترا" صورتين جديدتين : إحداهما لتاريخ كليوباترا فى قليل من التحوير المنطق المعقـول لتاريخها القـديم، والآخرى لحياة كليوباترا حريصا فيها على أن تحاط بنفس الحق الظنين الذى يحيطها به رواة التاريخ القديم، ما نحا إياها الحق الأكبر فى الدفاع عن نفسها وعن سياستها وعاطفتها ، غـير تارك لسواها من أشخاص الرواية إلا حظا ضئيلا من هذا الدفاع ، وهو إذ يمنحها هذا الحق دون سواها من أشخاص الرواية إنما يحرص أولا على أن يترك لأولئك الأشخاص مطلق الحرية فى تحديد هـذا الحق الظنين ، وثانيا على ألا يقسو فى مس الكرامة العامة للتاريخ ، وثالثـا على أن يترك الباب مفتوحا لتحقيق ما لهذا الدفاع من وجاهة فى نظر البحث الحديث المنصف .

كليوباترا فى نظر التاريخ القديم :

ولدت كليوباترا سـنة ٦٩ قبل الميلاد ، وكانت على أن تبنى بأخيها الأكبر وتتولى العـرش معه ، فنوزعت فى هذه الشركة ، ففرت إلى سـوريا لتعبئ جيشا هناك تستعيد به تاجها المفقود . وهناك صادفها يوليوس قيصر ، فوقعت من نفسـه ، فمكنها من العرش شركة مع أصغر أخويها ، فما لبثت أن قتلته مسموما وتبعت قيصر إلى روما فاحتفى بها حفاوة أثارت سخط الرومان .

وقتل قيصر فتردّدت كليوباترا أى الصفين تتبع : أصف واتريه أم صف الموترين فيه ، حتى إذا تم النصر لحلفاء قيصر على قتلته دعاها أنطونيوس الى طرسوس لتقدّم حسابا عن هذا التردّد المقصود، وقد لبت دعوته فسارت اليه فى موكب بحرى نظم تجلت فيه روعة الشرق وجلاله وغناه، وكانت يومئذ فى الثامنة والثلاثين من عمرها على أبهى ما كانت من سحر وفتنة وجمال، فما لبث أنطونيوس أن رآها حتى افتتن بها وضحى فى سبيلها بمكانه وكبريائه، وأخيرا بملكه ومطامعه وحياته . وقضيا الشتاء التالى فى الاسكندرية فى غرام نسيا فيه كل شىء ، وعلى أن أنطونيو قد رجع الى روما وتزوّج من أكتافيا شقيقة أكتافيوس، فقد عاد الى كليوباترا وأقام معها وسخا لها ولأبنائها بالعطف والتكريم ، وفى نشوة هذا الجنون كان اسمه يتضاءل فى روما، وكانت قواه السياسية والحربية تخور .

وفى سنة ٣٠ قبل الميلاد اشتبك القيصران فى وقعة أكتيوم البحرية ، وكانت كليوباترا بطبيعة الحال تؤازر بأسطولها أسطول أنطونيوس ، ففرّت أثناء المعركة وفر فى أثرها حبيبها المفتون، وبذلك كتبت عليهما الهزيمة الأولى، ثم اشتبك الجيشان فى معركة برية على أسوار الأسكندرية، وكاد النصر فى أولها يواتى أنطونيوس ثم سرعان ما تنكر له وتم عليهما الخذلان الأخير .

وحاولت كليو باترا أن تأسر بجمالها القيصر الظافر، وأن تفعل به ما فعلت بأنطونيوس ، فاشتركت معه فى مفاوضات لصالحها الخاص ، وأرسلت الى أنطونيوس من أوحى اليه بموتها ، فاتكأ على ظبة سيفه حتى إذا علم فى احتضاره كذب هذا الوحى ، أمر أن ينقل اليها حيث جاد تحت شفتيها بالنفس الأخير . وأيقنت كليو باترا بعدئذ أن القيصر الظافر إنما يخدعها عن نفسها ، وإنما يريدها شارة ممتازة فى موكب انتصاره ، فانتحرت تاركة وراءها بنتين من أنطونيوس كفلتهما أكتافيا ، وولدا من يوليوس قيصر (قيصرون) قتل فى عهد أكتافيوس ، وجسدا هامدا ضمه القبر إلى رفات أنطونيوس ، وذكريات حية خالدة ...

فضن عن الملوك والقواد وصرن وحى شاعر وشادى .
وفتنة اليراع والمداد

وجوه الاختلاف الأساسى بين الحوادث التاريخية والحوادث الروائية

يهمنا من هذه الحوادث إزاء الرواية ما تناول الأيام الأخيرة من حياة كليو باترا ، تلك الأيام التى لم تتناول الرواية سواها ، فنرى :

(أولا) أن فرار كليو باترا من وقعة أكتيوم كان جبنا وغدرا فى التاريخ :

ونرى أثر هـذه النظرية التاريخيـة فى الرواية حيث يعتب أنطونيوس على كليوباترا :

وقلت انسحبت ضعفا وقال الناس بل غدرا

فى حين أن هذا الفرار فى الرواية جزء من سياسة كليوباترا — وسوف نبسطها بعـد قليل — ويدل على ذلك وعلى روح هذه السياسـة قول كليوباترا .

فتأملت حالتى مليـا وتدبرت أمر صحوى وسكرى
وتبينت أن روما إذا زا لت عن البحر لم يسد فيه غيرى
كنت فى عاصف سللت شراعى منه فانسلت البوارج أثرى

(ثانيـا) أن التاريخ لم يذكر أن جيش كليوباترا فر من المعركة البرية بينما سجل المؤلف هذا الفرار فى الرواية تمشيا مع السياسـة التى اختطتها كليوباترا لنفسها ، وفى ذلك يقول أنطونيوس :

أسطولها إلى مراسيه أوى وجيشها ألقى السلاح ونجا

(ثالثـا) أن كليوباترا هى المسئولة أمام التاريخ عن انتحار أنطونيوس بينما يبرئها المؤلف من هـذه التهمة ، ويخلق شخصية بخيالية يلقى عليها هذه التبعة، هى شخصية الطبيب أولمبوس ، ونرى ذلك حيث تتساءل كليوباترا فى لوعة ولهفة :

من نعانى كذبا من قالها لك

وإذ يجيبها أنطونيوس :

« أولمبوس النذل الخؤون »

وحيث نسمع أولمبوس فى الفصل الثانى من الرواية مهدّدا ناقما :

أوروس أنطونيو حسابكما غدا روما الأبيـة لم تنم عن ثارها

وحيث نلمس مكمن الحيلة بين هذه النقمة وذلك الانتقام .

(رابعـا) حاولت كليوباترا تاريخيا أن تتصبى عدوّها الظافر، وأن تغدر حبيبها المخذول، ثم انتحرت عند ما فشلت هذه السياسة، والمؤلف ينزهها عن هذا الإسفاف، ويجعل أوّل لقائها لأوكتافيوس وأوّل اتصاله بها عقب مصرع أنطونيوس ، ثم يجعل من هـذا الاتصال مفاوضات ، ويجعـل فى هـذه المفاوضات خداعا من قيصر وإباء من كليوباترا ، فلا تصبى ولا محاولة إيقاع فى غرام، ثم يجعل انتحارها حرصا على تاج مصر أن يذله العرض فى روما من ناحية، وذلك إذ تقول :

سطت روما عـلى ملـكى ... ...

فرمت الموت لم أجبن ولكن لعـل جـلاله يحمى جـلالى

فـلا تمشى على تاجى ولكن على جسد ببطن الأرض بالى

ووفاء لأنطونيوس من ناحية أخرى وذلك إذ تقول :

أيهـا الذاهب قد آ ن عن الدنيا ذهوبى

أيهـا الخالص ودّا لبس ودّى بالمشوب

... ...

عن قريب ينطوى القبـــــر علينـا عن قريب

صورة تحليلية لأهم أشخاص الرواية

كليو باترا

ما فتئ المؤلف منـذ مطلع الرواية الى مقطعها يؤكد جنسية كليو باترا المصرية و إن تحدّرت من نبعة أجنبية، فقد كان الزمن الطويل الذى قضـاه أجدادها فى مصر — كما أسلفنا — كافيـا لتمصـــيرها .

وعبث أن نختار من الرواية قطعـة دون أخرى لإثبات هذه الجنسية، فالرواية كلها دليل متصل، نسجل منـه على سبيل المثل قولهـا :

أموت كما حييت لعرش مصر وأبذل دونه عرش الجمال

وقولهـا :

موقف يعجب العلا كنت فيه بنت مصر وكنت ملكة مصر

ثم قولا آخر احتال فيـه المؤلف على تبرير هـذه الجنسية ، متحاشيا فى هـذا التبرير إلا مجرّد التلميح من بعيد لدمها القديم ، وذلك إذ يقول حابى لزينون :

أخى هـذا أتيـنى وخلى ذاك مقدونى

... ...

كلا الخلين ذو جدّ بأرض النيل مدفون

فليسا فى هوى مصر وفى طاعتهـا دونى

وتصوّر الرواية كليوباترا من نواح ثلاث يستحسن أن نبحثها منفصلة : الأولى من حيث هى امرأة، والثانيـة من حيث هى ملكة، والثالثة من حيث هى شخص سياسى :

كليوباترا امرأة

(١) جميـلة :

وأمام جمالها يتمنى زينون رأسين :

يطأطئ رأسا لمجـد النبـو غ ويخفض رأسا لمجد الجمال

ويناجيها أنطونيوس قائلا :

ردّى على هامتى الغار التى سلبت فقبلة منـك تعلوها هى الغار

ويذكرها وهو يودع الدنيا:

لمـا لقيتك فى الجمال وعزه قهرت قواى الظافرات قواك

وفى احتضاره يهتف بها :

كليوباترا زوديني قبـلة من ثناياك العذاب الشهات

وهيلانة تتحدث عنها :

لم يحـــو شمسين الفلك

وأنو بيس يلقبها :

شعاع المدائن نور القرى

وحبرا ينبهر أمام كفها ...

عجب عينى لا تقـ ـوى على هذا الضياء
هـذه كـف إله جاء فى زى النسـاء

ورسول أكتافيوس قيصر يعجب لمولاه كيف :

... لا يلبى دعوة الحسن طائعا ... ...
وقد كان يوليوس يقوم ببابه ويمثل أنطونيوس فى العتبات

(ب) قوية الثقة بجمالها :

ويوحى من هذه الثقة تناجى الإسكندرية قائلة :

وأنا المهاة وقد ملأت لك قاعا

وتصف عشاقها قائلة :

يموتون بى عشقا ويشقون بالهوى فكم من حياة فى يدى ومماتى

وحينما تفكر فى الانتحار لم يكن يشغلها من الدنيا شاغل إلا أن تحتفظ فى موتها بهـذا الجمال ويبـدو ذلك أولا فى الحـوار بينها وبين أنو بيس :

« ولكن أبى هل يصان الجمال » ؟ « وهل يطفأ اللون » ؟
« وهل يبطل الموت سحر الجفون » ؟

وثانيا عند ماتنابى شبح الموت :

ياموت لاتطفئ بشاشة هيكلى وآحفظ ظواهر لحتى وجلالى
... ...
حتى أموت كما حييت كأننى بيت الخيال ودمية المثال

وتحدّث عن الحياة فتقول :

إنى آنتفعت بعبقرى جمالها وتمتعت من عبقرى جمالى

(ج) قوية البيان :

قوية يمثلها حابى حيث يقول :

ليسياس إنك قدسمعت حديثها كالسحر فى الآذان حين يدار
تبدو الخيانة فيه وهى أمانة ويرى الثبات عليه وهو فرار

(د) شاعرة :

وفى ذلك يقول لها أنطونيوس :

وقولى الشعر علويا

ويقول للمغنى إياس :

غننى شعر ملاكى غننى شعر الإله

ولها فى الرواية نشيدان : « أنا أنطونيو وأنطونيو أنا »
و « يا طيب وادى العدم »

(هـ) ولوع بالقراءة :

وفى ذلك يقول زينون :

... ... تنسى ملكها بلقاء الكتب أو تنسى هواها

وقد رأينا أن لها فى قصرها مكتبة .

(و) الأمومة لديها كالغرام — وسوف نتحدث عنه فى موضعه — عاطفة ثانية إذا كان حب المجد و إباء الضيم فيه عاطفتها الأولى :

وقد آشتهى عيش الذليل لأجلهم فلا المجد يرضى لى ولا النبل يسمح

(ز) عفة الهوى :

وقد ترقع القارئ هذه الحقيقة لأول وهلة ، إزاء سلسلة التهم القاسية التى وصمت بها كليوباترا فى الرواية كما يبدو من هذه الأمثلة :

(١) هتفوا لمن شرب الطلا فى تاجهم وأصار عرشهم فراش غرام
(٢) أترضى أن يكون سرير مصر قوائمه الدعارة والبغاء ؟
(٣) قد آجترأت على روما البغى
(٤) صرح أبن قل غدرت قل جدّدت بقيصر الثالث دولة الهوى
(٥) ... ... أفنت العمر بالهوى بهيمية اللذات والشهوات

لكن قليلا من التفكير يردّه الى وجه الصواب فاللهمة الثانية قد رماها بها حابى الذى كان يراها عن بعد فى ضوء الاشاعة السائرة، والذى لم يلبث أن نزل عن بعد رأيه فيها حينما عرفها عن كثب، فعاد يعدها « أبر المالكات » و « أشرف الناس إحساسا ووجدانا » و « لا يقيس بها فى الطهر إنسانا » . والتهمة الأولى قد وجهت اليها من شاب كان يشترك وحابى فى نظرته الأولى اليها ، لكنه لم يقترب منها ليرى ما رآه حابى فى النهاية . والتهمة الثالثة موجهة اليها من قائد رومانى غاضب لكرامة بلاده، أى من خصم سياسى موتور . والتهمة الرابعة صاحبها أنطونيوس، رماها بها ظلما فى ساعة يأس، ثم كفر عنها باتحاره ، وسوف نتحدث عن وفائها له بعد قليل . والتهمة الأخيرة إنما تجمع فيها كليو باترا خلاصة ما يقال فيها وفى هواها ثم تدفعه فى قولها :

فدا الغرامى بالرجال وحسنهم غرام الغوانى أو هوى الملكات
فليس الغلام البارع الحسن فتنتى ولا الرائع الأجلاد والعضلات
... ...
ولكن عشقت العبقرية طفلة وفى الغافلات البله من سنواتى

وفى قولها والضمير للحياة :

ووجدتها قد خلدت أبطالها فبسطت سلطانى على الأبطال

(ح) وفية لغرامها مخلصة فيه إلا حيث يصطدم هذا الغرام بوطنيتها .

فأما وفاؤها لغرامها وإخلاصها فيه فموقفها من أنطونيوس جريحا وميتا وبعد أن لم يعد يرجى منه خير ولا أمل ، وذكرها له وهى مشرفة على الموت حيث تنادى الموت قائلة :

سر بى الى أنطونيو فى نضرتى ورواء جلبابى وزينة حالى

وحيث تنادى وصيفتيها قائلة :

ألبسانى حلة تعجب أنطونيو سنيه

كل ذلك آيات على هذا الوفاء والاخلاص .

وأما تضحيتها بغرامها لسياستها فعلى الرغم من أقوالها « أنا أنطونيو وأنطونيو أنا » و « الحياة الحب والحب الحياة » ونحن قربنا له — أى للحب — ملك الثرى » و

هو أعطى الحب تاجى قيصر لم لا أعطى الهوى تاجى منا

على الرغم من هذه العاطفة القوية التى أظهرتها كليوباترا دائما فى مواجهة أنطونيوس ، والتى لم يؤيدها الأمر الواقع ، والتى إن دلت على شىء ، فعلى أن كليوباترا كانت ككل امرأة سواها ...

(ط) — يداخلها فى حضرة حبيبها أثر المبالغة وروح الرياء ولعلها تعتذر عن ذلك إذ تقول والضمير للحياة :

بنت الحياة أنا ... ...
عنها تناولت الرياء ورائة وأخذت كل خديعة ومحال

نعود فنقول على الرغم من كل هذا إن غرام كليوباترا — كما سوف نرى حينما نعرض لسياستها — ما تعارض يوما مع هذه السياسة ومع ما كانت تكفل به التاج المصرى من حب ورعاية ، إلا خرّ هذا الغرام صريعا .

بقيت نقطة أخيرة تتصل بهذا الهوى ، وتلك أن كليوباترا كانت فى ساعات لهوها ...

(ى) تفنى فى هذا اللهو وتستمتع به وتنسى ما سواه .

وحسبنا فى الاشارة إلى ذلك قولها :

فاطو معى حوادث الـ أمس ولا تجـدّد
وامض معى فى لذة الـ يوم ودع هم الغـد

وقولها :

لتكونن ليلة آخر الدهر تذكر
لا نبالى إذا صفت بعدها ما يكدّر

على أنها كانت تستظل فى هذا الاستمتاع بظل من الوقار يتبارى مع خلاعة الاغراق فيه ، تلك الخلاعة التى كانت سمة العصر

المترف المستهتر التى عاشت فيه ، والتى نكتفى من إثباتها بالإشارة (أولا) إلى قول القائل :

هلا نظرت إلى الأميرة إنها سكرى تعثر فى خليع عذرها

(ثانيا) إلى اتضاعها فى وليمتها حيث تترك يدها فى يسر لتكون نهبا بشفاه عرّاف صغير .

أما الظل الوقور الذى كانت تستظل به فى هذه الساعات اللاهية والذى يبدو فى قولها :

اجعلوها وليمة وبساطا يتبارى خلاعة ووقارا

فلعلها استمدّته من قبس دينى ما فتئ يتردّد على نفسها بين الحين والحين . وتبدو ...

(ك) مستمسكة بدينها إذ تهتف بأنوبيس فى موضع :

صل من أجلى ولا تد س صغارى فى صلاتك

وفى موضع آخر :

هذا مقام صلاتى وهيكلى للضراعه
ولى خطايا كثير لا تبرح البال ساعه
فادخل وصل لأجلى فمنك ترجى الشفاعه

وفى موضع ثالث :

أبى دخلت نفسى حيرى الزمام حزينه

وقد تركت المصلى ... وملء قلبي سكينه
إن الصلاة على شدّ ... الزمان معينه

وبين هذه العفة والوقار من جانب، وهذه المتعة والخلاعة من جانب آخر جهرت كليوباترا بهذا الاعتراف والضمير للحياة :

ولربما رشدت فسرت برشدها ... وغوت فأغوتني وضل ضلالي

ووصفها أنوبيس بأنها كشعاع الضحى :

يخوض الوحل ويغشى الحلى ... ويأوى الحضيض ويعلو الذرا
... ...
ولكنه طاهر حيث طاف ... نقى الذيول عفيف الخطا

كليوباترا ملكة

(١) قوية الشخصية :

وأظهر ما تبدو هذه القوّة فى أربع مواضع . (الأول) حينما تدخل على زينون بعد أن لعنها وتآمر عليها فلا يكاد يسمع تحيتها حتى يردّها قائلا :

سلام السماوات فى مجدها ... على ربة التاج ذات الجلال

(الثانى) حيث يقول أوروس :

لولا الوليمة والشراب وجرمة ... لأميرة الوادى السعيد ودارها

(الثالث) حيث يقول أنطونيوس :

أخرجت أمرى واختيارى من يدى وتركتنى نفسا بغير ملاك

(الرابع) حيث يؤبنها أكتافيوس :

لعبت بأنطونيو ريوليوس حقبة كما جاء بالمسحور أو راح ساحرا

بيد أن هذه القوة كانت تظهر أحيانا كأنها مشوبة بضعف ، لكنه ضعف مصطنع ترى فيه المرأة دائما سلاحا من أسلحة قوتها . فهى حينما تنادى أنطونيوس :

مكانك قيصر لا تذهبن ولا تبرح القصر أهلك أسى

إنما تجرب قوة دلالها ، وقد أفلحت فى هذه التجربة ورأينا كيف استنهضت بهذا الدلال من حماسة أنطونيوس ، وكذلك عند ما تقول لأوكتافيوس :

نفذه من يد الموت ومن عاجزة تبكى

فقد كان ذلك منها تهكما بتهكم ، وقد رأينا كيف وقفت بعد ذلك وقفتها فى إبائها وكبريائها الأعزل ، فاضطرت القيصر المنتصر أن ينتقل فى خطابها من سخرية إلى احترام .

وفى ذلك تقول هى :

فإن تك بى خشية فى النساء فلى جرأة الملكات الكبر

ويقول أكتافيوس :

قد أبطلت كيدى على ضعفها ولم تزل تسخر بالكائد

(ب) مصلحة :

وفى ذلك تناجى الاسكندرية قائلة :

وشيت برك جدولا ونخيلة وكسوت بحرك عدّة وشراعا
وأنا اللباة وقد ملأت غابة وأنا المهاة وقد ملأت قاعا
قد خفت من بعدى عليك ممالكا يطلقن فيك الفاتحين سباعا

(ج) فخور :

ويبدو هذا الفخر على أشده حينما تجعل نفسها « ضرة روما » إذ تقول :

اليوم تعلم روما أن ضرتها تقلد الغار من تهوى وتختار

وحينما تقول لحابى :

دع الذود عن مصر لى إننى أنا السيف والآخرون العصا

وحينما تقول :

وقد علم البرية أن تاجى نمته الشمس والأسر العوالى

وحينما تخاطب الاسكندرية قائلة :

« وأنا اللباة وقد ملا تك غابة »

وحينما تسأل العرّاف :

أحضيض يومى الآ خر قل لى أم سماء
خاتم الأيام أو لى باهتمام العظماء

(د) أبيـــة :

وآية ذلك قولها لأنو بيس :

أبى لا العزل خفت ولا المنايا ولكن أن يسيروا بى سبيا

وقولها فى وداع حياتها :

أأدخل فى ثياب الذل روما ... ...
... ...
إذن غير الملوك أبى وجدّى وغير طرازهم عمى وخالى

وقولها فى وداع صغارها :

وقد أشتهى عيش الذليل لأجلهم فلا المجد يرضى لى ولا النبل يسمح

وفى تأبين أكتافيوس لها :

ترفعت عن قيدى ومت عزيزة

(هـ) تتألف خصومها :

واحتيالها فى اجتذاب حابى اليها عن سبيل حبه لميلانة خير دليل .

(و) عطوف على أتباعها :

تقول لوصيفتها :

أنت لى خادم ولكن كأنا في الملمات أهل قربى وصهر

وتقول لها وصيفتها :

يا رب ذنب ... ... يتعب العذر فيه مهدت عذرى

وقد أكسبها هذا العطف تفانيا فى حبها من أولئك الأتباع .

فانظر الى هيلانة إذ تقول :

إن التى شب فى نعمائها ونبهت لى فى سلطانها شانا

إن لم أمت دونها أو لم أمت معها فما جزيت عن الاحسان إحسانا

وإذ تقول على جثتها :

ليت الطبيب الذى داوى فأخرجنى الى الحياة على الدنيا به طلعا

وإذ يصل هذا التفانى الى حدّ التضحية بالحياة ، وإذ يتجلى الحزن الشامل على القصر ومن فيه فى الساعة التى أفل فيها نجم كليوباترا وأشرفت على مفارقة الحياة، أنظر الى كل هذا تجد أن أولئك الأتباع وجدوا فى ظل كليوباترا العطف والرفق والاحسان .

(ز) غفور :

ويبدو ذلك فى قولها لحابى :

فذلك تاب ومثلى عفا

(ح) جليـــد :

ونرى أثر هذا الجلد فى قولها :

ياويح صحبي بعد طول سرورهم قعـدوا الى أحزانهـم يبكونا
جيئى بهم ياشرميون لينظروا جلدى فيهدأ بعض ما يجدونا

(ط) تكره التملق :

وفى ذلك تقول لحبرا :

خلـنى من زخرف المـد ح ومن زور الثنـاء

ســـياسة كليو باترا

تقول كليو باترا لأوروس :

الحـــرب فنـك أورو س والســـياسة فـــنى

فهل هذا صحيح ؟

لقد كانت كليو باترا بعيدة النظر حينما عتبت على أنطونيوس عقب انتصاره فى اليوم الأول من يومى المعركة البرية على أسوار الاسكندرية أن ترك خصمه من غير أن يضربه الضربة القاضية بعد أن اقتحم عليه مضاربه ...

تركتهم لغد ؟ هذى مجازفة غد غيوب وأسرار وأقـدار

وقد أثبتت هزيمة أنطونيوس فى اليوم التالى بعد هذا النظر .

وكانت كليوباترا بعيدة النظر كذلك حينما استشفت من خلال ذلك العرض المعسول الذى عرضه عليها أكتافيوس :

ولهـا الوادى وما يحـ ـمل ملكا ورعيـه
وبنـوها يرثون الملـ ـك من روما الوصيه
واذا حلت بروما وجدت روما حفيـه

شبح الحيلة والخداع ، فكادت له كيدا اضطره أن يقف أمام جثتها موقف المنهزم يقول :

قد أبطلت كيدى على ضعفها ... ...
فى الجسد الحى تمنيتها لم أبغها فى الجسد البائد

هـذا من ناحية أخرى فقد اختطت كليوباترا لنفسها سياسة خاصة فى هذه الرواية ، وقد ظلت أمينة على تنفيذها حتى النهاية ، وقد فشلت فى هذه السياسة فشلا أفقدها حبها وتاجها وحياتها ، وأفقد مصر ما كان لها من شبه حرية واستقلال .

ونعرض الآن هذه السياسة ثم نتناولها بالبحث لنرى مواطن ضعفها وكيف انتهت الى هذا المصير .

وكانت كليوباترا أسيرة عواطف ثلاث :

(الأولى) حبها لمصر وحرصها على مستقبل تاجها . وقد رأينا أن الرواية ملأى بدلائل هذا الحب والحرص حينما تكلمنا عن جنسية كليوباترا .

(الثانية) حبها لأنطونيوس ، ومن العبث أن نستشهد على هذا الحب بنجواها الغرامية المتصلة وحدها كلما جمع المجال بينها وبين أنطونيوس ، فلقد تتهم هذه النجوى بشيء من المبالغة والرياء ، وخير أن نقصر هذا الاستشهاد على حديثها عنه فى غيبته ، إذ تقول :

علم الله قد خذلت حبيبي

وإذ تقول فى موقف آخر :

هو أنطونيوس ذخرى وطريفى وتليدى

وعلى الوفاء له بعد موته ، وقد أسلفنا عليه الدليل ، ومهما يكن من انقياد هذه العاطفة فى قلبها فقد كانت لديها كما قلنا عاطفة ثانوية ، كلما تعارضت مع حبها لمصر ، ففى سبيل وطنها كانت مستعدة للتضحية بكل شيء ، وكانت تعتقد حقيقة أن :

المجد لا يسأل عن صاحبة ولا ولد

وكانت مخلصة حينما استنهضت حماسة أنطونيوس بهذه الكلمة الجامعة :

عد ظافرا أو لا تعد

وآية استعدادها للتضحية بغرامها فى سبيل سياسة بلادها قولها عقب فرارها من أكتيوم :

علم الله قد خذلت حبيبي ... وأبا صبيتى وعونى وذخرى
والذى ضيع العروش وضحى ... فى سبيلى بألف قطر وقطر
موقف يعجب العلا كنت فيه ... بنت مصر وكنت ملكة مصر

(الثالثة) بغضها لروما وإشفاقها من طغيان سلطانها المكين .

ويبدو هذا البغض فى عدّة مواضع . منها قولها :

لا تسيروا على ولائم روما ... سرفا فى الفسوق واستهتارا

ومنها قول أحد القوّاد الرومان لزميل له :

أتسمع ما تقول عدو روما ؟

وقولها :

دعوا روما ولا تجروا لها ذكرا

وقولها :

حبرا أعندك سحر ... يشل طاغوت روما؟
ويجعل الناس فيها ... حجارة و رسوما

وقولها فى موقف مفاضلة بين ألوان الشراب :

دنان مصر لا دنان الروم

ثم شعور الناس جميعا — حتى خصومها — بذلك البغض، وفى ذلك يقول حابى لزينون قبل أن ينزل عن رأيه فيها :

ولم يبق على الود لروما غير زينون

وإشباعا لهذه العواطف جميعا رسمت كليوباترا لنفسها ثلاث غايات :

(الأولى) أن تستخلص الشرق لنفسها مستقلا عن كل نفوذ .

(الثانية) أن تضعف قوى روما ما آستطاعت مع المحافظة على قواها هى .

(الثالثة) أن تعكس الآية السياسية الموجودة يومئذ، فتسود روما من خلال سيادة قيصر ضعيف تضمن أن يخضع لفتنة جمالها دائما، كما تضمن أن يخشى قوة بأسها ثانيا ، وكل هذه الشروط كانت تجتمع فى أنطونيوس . وتجمل كليوباترا غايتها الأولى والثالثة فى قولها لأنطونيوس :

أنت لروما فى غد وقيصرون بعد غد
والشرق سلطانى الذى إكليله لى العقد

ثم تبسط غايتها الثالثة إذ تقول :

قلت روما تصدّعت فترى شط ـرا من القـوم فى عداوة شطر

... ...

وتبينت أن روما إذا زا لت عن البحر لم يسد فيه غيرى

والوسيلة التى ظنتها كليوباترا كفيلة بتحقيق هذه الغايات ، أن تقف من القيصرين المتحاربين موقف الحياد ، فقد كانت تؤمن بتكافؤ قواهما الحربية ، لأنهما « تقاسما الفلك والجيش » وبات كلاهما :

... ... شط ـرا من القوم فى عداوة شـطر

وقد أثبت تداول النصر بينهما قبل المعركة الفاصلة صدق هذا اليقين . وقدّرت كليوباترا أن حيادها هذا يكفل لهـا الاحتفاظ بقواها فى البر والبحر ، بينما ينهك القتال قوى القيصرين — المنتصر منهما والمخذول — حتى إذا قرت الحرب بينهما ظهرت بجيشها وأسـطولها ، لتجهز على أكتافيوس — إذا ظفر — وهو متعب منهوك ، ولتحيي أنطونيوس — إذا كان هو الظافر — تحية القوى للضعيف ، لا تحية التابع للمتبوع . لكن الحياد الصريح كان معناه المحتوم أن تفقد أنطونيوس ، وأن تفقد كل أمل فى هواه ، وأن ينهار بفقدان هذا الأمل صرح أمانيها جميعا ، فاصطنعت كليوباترا

لنفسها حيادا مقنعا تتظاهر فيه بالقيام بنصيبها من أعباء الحرب الى جانب أنطونيوس ، حتى إذا نشبت المعركة فرت بجيشها أو أسطولها ، تاركة لفرار أنطونيوس القوى مهمة التماس الاعذار لضعفها وفرارها من حومة القتال ، ناطقا على لسانه :

فقلت انسحبت ضعفا وقال الناس بل غدرا
ولو كان لهم قلب كقلبي التمسوا العذرا

ومهمة أخرى هى إلقاء تبعة الغدر والخيانة على من يشاء من قوّادها :

فياقائد الأسطول هل من مكيدة تدبرلى خلف الشراع وماأدرى؟

وما من شك أنها مهمات يسيرة ، إزاء مهمة الاعتذار لخيانتها السافرة لو أنها وقفت منه موقف الحياد الصريح ! وما من شك كذلك أن هـذه المهمات قد أداها غرام أنطونيوس بنجاح فقد عفى عن ضعف حبيبته مرتين ومات راضيا عنها كل الرضاء .

ونستطيع استخلاص هـذه الخطة التى اتخذتها كليوباترا من أربعة مواضيع :

(الأول) فى موقف كليوباترا من حاشيتها بعد وقعة أكتيوم ، تبرر فرارها فى هذه الأبيات :

قلت روما تصدّعت فترى شط ـرا من القوم فى عداوة شطر

بطـلاها تقاسما الفـلك والجيـ ـش وشـبا الوغى يجـر وبر
فتأملـت حالـتيّ مليـا وتدبرت أمر صحوى وسكرى
وتبينت أنـ روما إذا زا لت عن البحر لم يسد فيه غيرى
كنت فى عاصف سللت شراعى منـه فانسلت البوارج إثرى
خلصت من رحى القتال ومما يلحـق السفن من دمار وأسر

(الثـانى) فى قول أنطونيوس :

أسطولها إلى مراسيه أوى وجيشها ألقى السلاح ونجا

ولقد يلقى قول كليو باترا فى استقبال أنطونيوس على أثر عودته ظافرا فى اليوم الأول من يومى المعركة البرية :

هـو والله نشيدى والمغنـون جنـودى
والمخـاريق التى تخـ ـفق من بعـد بنودى

لقد يلقى هذا القول ظلا من الشك على مسايرة خطة الانسحاب من المعركة لسياق الرواية ، يعززه أن أنطونيوس لم يأخذ عليها فرارها من هـذه المعركة كما أخذ عليها فرارها من أكتيوم ، لكن هذا الظل المريب يتضاءل ويفنى حينما نعلم أولا أن كليو باترا لم تشترك فى هذه المعركة بتاتا ، فقد « آلى وأقسم » أنطونيوس :

... ... لا يرى فى قصرهـا حـتى يقوم مجـده المنهار

وظل فى حنقه وغضبه منها «بأقرب ثكنة» من الأسكندرية يدعو من الرومان — وحدهم — من يختار :

ويعدّ أهبته ليـوم حاسم فى البر يغسل عنه فيه العار

وحينما نتمشى ثانيا مع قول كليوباترا قليلا، فنسمعها فى فرحها بعودته تقول :

ولديهـا فارس ملء شم شاكى الحـديد
هو أنطونيوس ذخرى وطـريفى وتليـدى

فهى لم تفرق بين جنود أنطونيوس وأعلامه، وبين جنودها هى وأعلامها، ولكن ذكرت نوعا واحدا من الجنود والأعلام والأناشيد، وقالت هم جنودى وأعلامى وأناشيدى، لأنها فى غرورها الفخور وفى ثقتها بجمالها وحب أنطونيوس لها وحبها لأنطونيوس، كانت تعتقد ما قالت « أنا أنطونيو وأنطونيو أنا » ، وترى على هذا أن كل ماله إنما هو ملك لها، وكان أنطونيوس بدوره يتناسى فى انتصاره عتبه الأول، ويتناسى فى غرامه أناشيد روما وأعلامها، ويتخذ أناشيد مصر وأعلامها، ويترك أسطوله « يعب تحت هذه الأعلام » ، وجيشه يتغنى بهـذه الأناشيد، وفاء لها بمـا أخذه لها على نفسه، أنه « مصرى » وأنه « تابعها الوفى » وأنه ما فى سوى رضاها له مضى .

To: www.al-mostafa.com

(الثالث) قولها لأنو بيس :

وجيش الحليف وجيش العدو بظهر المدينة شبا الوغى

أما جيشها هى فسياستها تعلم أين كان !

(الرابع) قولها لأنو بيس كذلك :

أبى أعلمت أن الجيش ولى وأن بوارجى أبت المضيا ؟

فكليوباترا هنا تشكو من أن بوارجها أبت المضى، لكن متى حدث هذا الإباء ؟ هل كان ذلك فى معركة أكتيوم؟ طبعا لا... لأنه لو كان ذلك كذلك لما كان هناك سبيل لشكاة كليوباترا من أمر هى صاحبة الرأى فيه، ولما كان هناك سبيل للتعبير عن فرار الأسطول يومئذ بأنه « إباء » أى تمرّد ، وهى الأمرة بالفرار وأسطولها لم يعد ان سمع وأطاع ، ولما كانت هناك فائدة فى إخبار أنو بيس بنبأ قد عرفه منذ حين ... إذن لابد أن هذه البوارج قد أبت المضى الى الحرب بعد هزيمة أنطونيوس الأخيرة ، وقد يبدو — وإن كان ذلك فى شىء من الغموض — أن كليوباترا تنفيذا لما بسطنا من خطتها أرادت أن تضرب أكتافيوس عقب انتصاره كما قدّرت ، فأهابت بأسطولها أن يمضى فأبى هذا المضى، وأهابت بجيشها أن يمضى فولى الأدبار ... اعتاد كلاهما لذة الدعة وراحة الفرار، ومن هذه العادة جنت كليوباترا ماغرست فيهما من بذور

الضعف والخور، وتحطمت خطتها وسياستها على صخرة عاتية وقفت لديها تعض بنانها ندما وتقول :

أيها العين أبصرى إنما كنت فى حلم

مواطن الضعف فى هذه السياسة

(أولا) أخذ أنوبيس على هذه السياسة بصفة عامة أن كليوباترا كان يجب أن تخلص فى عون أنطونيوس، فيكون الأمل فى الظفر أقوى، وذلك حيث يقول :

تركتم أنطونيو س وحده يلقى العدا
من أجلكم سل الحسا م وإلى الحرب مشى
ما كان ضركم لو الت ـفتم على اللوا

لكن حسن الظن فى كليوباترا قد يستطيع الاعتذار لها بأنها كانت تريد الى جانبها قيصرا ضعيفا يمكن أن يرث عنه القيصرية ولدها قيصرون، لا قيصرا قويا قد تفقد سلطانها عليه إذا تعرض غرامه للذبول .

(ثانيا) قدرت كليوباترا أن يظل أنطونيوس فى المعركة بعد فرارها نخانها التقدير، وفر فى أثرها أنطونيوس :

لم تأت حتى جاء فى آثارها للحب أجنحة بهن يطار

(ثالثا) لم تقدّر ما يحدثه فرارها من الضعف المعنوى فى جيش أنطونيوس، وآية هذا الضعف قول أوروس لمولاه :

وخلفت فى عسكر كالنعاج كثير الثغاء قليل الغنا
فمن يأس مات قبل القتال ومن خائن فرّ قبل اللقا

(رابعا) صراحتها الطائشة فى إعلان بغضها لروما أمام الرومان، واضطرارها أنطونيوس أن يظهر بهذا المظهر كذلك أمام قوّاده ، مما أحنق أولئك القوّاد وجعلهم يقولون :

سنلبث ساعة نحتال حتى إذا سلت عقولهم انسللنا
فما المتدله السكير أهلا لتنصره السيوف إذا استللنا

ونرى أثر هذا الحنق حينما يقول أنطونيوس :

جنود أكاف أدركونى يا ليتنى مت قبل هذا

فيجيبه جندى رومانى :

لا بل جنودك لكن خانوك حبا لروما

(خامسا) عدم اتعاظها بضعف سياستها بعد معركة أكتيوم، وتكرار الانسحاب وتكرار الهزائم .

(سادسا) اعتمادها على جيش وأسطول علمتهما الهرب من ساحة القتال ، وقصارى ما نستطيع أن نقول فى سياسة كليوباترا

إن عينها كانت ترى ما وراء الأفق وتعمى عما تحت أنفها من عثرات، وإن هذه السياسة ليست المسئول الوحيد عن هذه الكارثة التى انتهت بها حياة كليوباترا ولكن هناك مسئولا آخر هو الضعف النفسى الذى تحكم يومئذ فى أنطونيوس .

* * *

ولعل خير إطار تحلى به هذه الصورة الجامعة المتسقة الألوان لحياة هذه الملكة هو تأبين أنوبيس لها :

بنتى رجوتك للضحية والفدا فوجدت عندك فوق ما أتاراجى
إن تصبحى جسدا فنفسك حرة وعلاك سالمة وعرضك ناجى
سيقول بعدك كل جيل منصف ذهبت ولكن فى سبيل التاج

أنطـــونيـــوس

رسم المؤلف صورتين لأنطونيوس الجندى فى هذه الرواية :

(الأولى) صورته قبـل أن يتصـل بكليوباترا أيام أن كان يضحى بالهوى فى سبيل المجد .

(الثانية) صورة أنطونيوس بعد أن عرف كليوباترا وأصبح يضحى بالمجد فى سبيل الهوى .

ونرى الصورة الأولى حينما يذكر أنطونيوس — وهو مشرف على الموت — أيام صباه فيقول :

وأيام يدعونى الهـوى فأجيبه ... وينفخ فى البوق المناذى فانبرى
فتنت الغـوانى برهـة وفتننى ... ولكننى عن سـؤدد لم أقصر
فهمة قلبى فى شراب وصبوة ... وهمـة نفسى فى علاء ومفخر
أروس توافقنا على كل غمرة ... وكل مجال ثائر النقع أكدر
وفى مهرجان الفاتحين وعرسهم ... وتحت لواء أو على عـود منبر

فنراه من خلال هذه الصورة ، شجاعا ، ظافرا ، خطيبا يشبع عاطفته ولكن إلى الحدّ الذى لا يقف به فى سبيل المجد عن غاية.

ونرى الصورة الثانية حيث يفرّ أنطونيوس من معركة أكتيوم وفى ذلك يقول حابى :

لم تأت حتى جاء فى آثارها ... للحب أجنـحة بهنّ يطـار

وإذ يخرج به الهوى من معركة لو استمرّ فيها لكتب له النصر الأخير، وذلك إذ يقول لكليوباترا عقب انتصاره المؤقت :

ومالت الشمس أو كادت فراجعنى ... شوق إليك عديم الدار سـوار
حتى رجعت ولو أنى طردتهم ... لبات أكناف عندى وانقضى الثار

وإذ ينسى بلاده ووطنيته وجنسيته فى حب كليو باترا فتستطيع أن تقول :

... ... دعـــوا روما ولا تجـروا لهـا ذكرا
فما أنطونيـو منهـا وإن كان ابنهـا البكرا
ولكن تحت أعـلامى يقـود البـر والبـحرا

فيسأله قائد من قوّاده :

أحـق مارك أنطونيو س من روميـة تـبرا؟

فيجيبه :

أجل أتبـع مـولاتى ولا أعصى لهـا أمرا

وإذ تستطيع أن تقول :

أنطونيو ما أنت رومانى ألم تقل إنك لى جندى

فيجيبها :

أجل وزدت أننى مصرى وأننى تابعـــك الـوفى
ما فى سوى رضاك لى مضى

وإذ يقول هو والخطاب لروما :

إن الذى بالأمس زنت جبينه بالغار عقك جهده وعصاك

وإذ يقول له قائد من قواده :

ألا إنـه ليـــل له ماوراءه غرامك حى فيه والمجد ميت

وآخـر :

فـما المتدله السكير أهلا لتنصره السـيوف ... ...

وثالث :

حيـاته فى يـــديـه أم فى يـدى كليـو باترا

وإذ يناجى هو «إلهته» كليو باترا :

أخرجت أمرى واختيارى من يدى وتركتنى نفسا بغـــير مـلاك

وإذ يفقد مزية البطولة الباسل فى ساحة الوغى، تلك المزية التى أثبتها لنفسه حين سألته كليو باترا :

... ... أسالم أنت لا أسر ولا عار؟

فأجاب :

أسر ؟ وهمت كليو باترا ... ...

لو قلت قتل لكان القول أشبه بى كأس المنايا على الأبطال دوار

وتلك هى مزية الثبات التى يفقدها أنطونيوس بفراره من أكتيوم ثم فراره من المعركة البرية الثانية إذ يقول :

جللت نفسى بعـار يبقى بقاء الزمان
لمـا حملت جوادى على الفـرار ازدرانى
وضـج منى سـيفى وضـج منى سنانى

وودت الأرض تحتى لو طهرت من عيانى
أنا الذى كان أمضى من الحديد جنانى
كان الملوك عبيدى فصرت عبد الحسان

على أن المؤلف ترك له ما سوى هذا من مزايا الجندية ، بجعله على لسان كليوباترا :

جيشا بمفرده فى الروع جرار

وجعله على لسان حبرا « إله الحرب » .

وجعله على لسان أوروس « إله الوغى » حيث يقول :

رأيتك والحرب تبلو الكماة فأشهد كنت إله الوغى
وقد كان سيفك غول السيوف وكانت قناتك غول القنا
وكنت إذا الموت أفضى إليك تحدّيته فانثنى القهقرى

وجعله على لسان جندى رومانى :

... ... هيكلا عز فى الرجال ضريبا
... ... خير من هز رمحا أو نضا صارما ولاقى الحروبا

وجعله على لسان كليوباترا :

محور الأرض وميزان الشعوب

وجعله على لسان أكتافيوس « سيفا باترا لروما » :
ضمن أمثلة من هذا النوع تناثرت فى الرواية .

لكن هـذه المزايا الباقية لم تغن عنه شيئا إزاء ضعفه النفسى الذى أفاضه عليـه اندفاعه الأعمى فى هواه ، وجعـله من حيث طاعته لكليوباترا « كهمج الاسكندرية » .

ثم صـوّر المؤلف صورة أخرى لأنطونيوس من حيث هو رجل فنراه من خلال هذه الصورة : غفورا يتجلى غفرانه لكليوباترا مرة بعد أخرى ، ويبدو ذلك فى قولها له :

وكم حقدت ثم أصبحـ ـت كانـ لم تحقد

رحيم القلب ، بشوش الوجه :
وتبدو رحمته وبشاشته فى قول كليوباترا :

ليس العبوس سـنة لوجهك الطلق الندى
ولست من يغضب فى ليـل الشراب والدد
ولست للكأس على شاربهـا بالمفسـد
قلبك كنز الحب والـ ـرحمـة والتـودّد

أكتافيوس

يظهر أكتافيوس فى الرواية قائدا عظيما قويا ويبدو ذلك فى انتصاره وفى قوله «وما أنا إلا سيف رومة» وفى قول كليوباترا :

إن اسطعت على ما لك من بطش ومن فتك
وما حولك من خيل وما تحتك من فلك

وسياسيا :

ويبدو ذلك فى المعاهدة التى أراد أن يخدع بها كليوباترا ليتخذها شارة فى موكب انتصاره .

أنوبيس

يمثل فى الرواية مصريا شديد الغيرة على مصريته .

ويتجلى ذلك إذ يقول :

إيزيس كيف أصلى على ابن يوليوس قيصر
أبوه عال ولكن فرعون أعلى وأكبر

وإذ يوحى إلى كليوباترا فكرة الانتحار عطفا عليها من حيث هى ملكة مصرية وحرصا على كرامة التاج المصرى، ويتضح ذلك فى حواره حول أفاعيه وإذ يختم هذا الحوار قائلا :

يمينـا بإيزيس أحلهن إليك ولو فى سـلال الخضر
إذا بات فى خطر تاج مصر سبقت إليـك بهنّ الخطـر

وهو من هذه الناحية موزع بين عاطفتين :

(الأولى) عطفه على كليوباترا .

(الثانية) بغضه لروما .

ويتجلى هذا البغض فى قوله :

حابى أحيط القصر بالذئاب وبى من السخط عليهـم مابى

لكنه لم يكن ينسى فى هذا البغض أن آمال مصر معقودة على انتصار أنطونيوس . وقد رأينا أثر ذلك فى سياسة كليوباترا .

كَمُلَ طبع رواية "مصرع كليوباترا" بمطبعة دار الكتب المصرية
في يوم الخميس غرة جمادى الثانية سنة ١٣٦٥ (٢ مايو سنة ١٩٤٦) م

محمد نديم
مدير المطبعة بدار الكتب
المصرية

(مطبعة دار الكتب المصرية ٦٥/١٩٤٥/٧٠٠٠)

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية

[تطلب من المكتبة التجارية الكبرى بأول شارع محمد على بمصر]

Bibliotheca Alexandrina
0320482

To: www.al-mostafa.com